

خالد محمد خالد

إلهة حكمة سواء



كل الحقوق
محفوظة

Copyright
All rights reserved

المقطب
للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريسان - عابدين
القاهرة - مصر

Tel: (00202) 7958215-
7946109

Fax: (00202) 5082233

Email:
elmokatam@hotmail.com

رقم الإيداع ١٦٧٨١ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977 - 5732 - 68 - 9

مقدمة الناشر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.
وبعد...

فهذا كتاب جديد، ينشر لأول مرة، لكاتبنا الكبير خالد محمد خالد عليه رحمة الله، وهو يتظم ما يزيد عن أربعين مقالا كتبها - غالباً - لجريدة "المسلمون" حوالي سنة ١٩٨٥ وما بعدها تحت عنوان "إلي كلمة سواء".

والواقع أن المقالات التي نشرت تحت هذا العنوان بالجريدة المذكورة ربما تكون أريت علي ثمانين مقالة، إلا أننا لم نتمكن من العثور إلا علي المقالات التي تجدها في هذا الجزء، ونحن نأمل أن نعثر علي باقي المقالات حتى نضيفها إلي هذا الكتاب أو نخصص لها جزءاً ثانياً إن شاء الله تعالى.

ولذلك فإننا نرجو من يعثر علي أي من المقالات المفقودة أن يبعث إلينا بصورة منها نشراً للعلم، ومحافظة علي تراث مهم لواحد من أكبر كتاب الإسلام ومفكره في العصر الحديث.. والله سبحانه وتعالى يوفق إلي ما فيه الخير والصلاح.



نبذة عن حياة المؤلف

خالد محمد خالد (المتوفى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)

كان مولده يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ من هجرة النبي ﷺ الموافق ١٥ يونية سنة ١٩٢٠ ميلادية، في "العدوة" إحدى قري محافظة الشرقية بمصر، والتحق في طفولته بكتاب القرية، فأمضي به بضع سنوات، حفظ في أثنائها قدرأ من القرآن، وتعلم القراءة والكتابة.

ولما عقد والده - الشيخ محمد خالد - عزمه علي أن يلحقه بالأزهر الشريف، حمله الي القاهرة، وعهد به إلي ابنه الأكبر "الشيخ حسين" ليتولي تحفيظه القرآن كاملا، وكان ذلك هو شرط الالتحاق بالأزهر في ذلك الوقت.

أتم حفظ القرآن كله في وقت قياسي وهو خمسة أشهر كما بين ذلك مفصلا في مذكراته "قصتي مع الحياة" - ثم التحق بالأزهر في سن مبكرة، وظل يدرس فيه علي مشايخه الأعلام طيلة ستة عشر عاما حتى تخرج فيه، ونال الشهادة العالية من كلية الشريعة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، وكان آنذاك زوجا وأبا لاثنين من أبنائه.

عمل بالتدريس بعد التخرج من الأزهر عدة سنوات حتى تركه نهائياً سنة ١٩٥٤، حيث عين في وزارة الثقافة كمستشار للنشر، ثم ترك الوظائف نهائياً بالخروج الاختياري علي المعاش عام ١٩٧٦.

ويُذلت له عروض مغرية كثيرة لثيل وظائف قيادية في الدولة، سواء في رئاسة جمال عبد الناصر أو أنور السادات، فكان يعتذر عنها، ورفض عروضاً أخرى كثيرة لأسفار يسيل لها اللعاب، وأثر أن يقي في حياته البسيطة المتواضعة التي يغلب عليها الزهد والقنوع^(١).

(١) انظر "قصتي مع التصوف" لخالد محمد خالد نشر دار المقطم للنشر والتوزيع بالقاهرة.

وقد تقلبت حياته في أطوار متعددة، من حفظ مبكر وسريع للقرآن الكريم، إلى طالب نابه بالأزهر الشريف، إلى شاب متعطش للمعرفة، تواق إلى أنواع الفنون والآداب والثقافات، إلى منغمس في السياسة مشغول بها، إلى خطيب بارع تهز خطبه السياسية أعواد المنابر، ثم إلى واعظ تغمر دروسه وخطبه القلوب بنشوة الإيمان، إلى عابد مشغول بالآخرة، وصوفي مشغول بربه، وهكذا.. وقد شرح ذلك بالتفصيل في مذكراته التي كتبها وجعل عنوانها "قصتي مع الحياة".

وفي سن مبكرة التقى بشيخه المربي الكامل الشيخ محمود خطاب السبكي إمام أهل السنة ومجدد رواق الإسلام - كما وصفه هو - وكان أعجوبة من أعاجيب الزمان، وشاهداً على ما يفيض الله على أوليائه وأحبابه من واسع فضله وعطائه".

وصفه بقوله: "إن وصفه لمن الأمور الصعبة، والحديث عنه بقدر ما هو شهبي وندي... يوقع الكاتب في حيرة.. وهكذا يكون شأننا مع أنبياء الله المرسلين... ومع أوليائه المقربين.. فنحن نشوق غيرهم الذي يتضوع بهاء وعطرا... ونقلب في نعماء ما آتاهم الله من نور وهدي وحكمة... بيد أن الاقتراب منهم يفرض علينا من التبعات ما لا نطبق... والحديث عنهم، وتفسير مواقفهم، أمر يعسر تناوله إلا على من يجعل الله عمره يسراً".

وكما كانت حياته في بواكيرها كالنهر الذي تجيش مياهه بالفيضان، وتقلب في تدفق وعنفوان، وكلما اقترب من البحر هدأت أمواجه، واطمأنت مسيرته، حتى إذا امتزج بهاء البحر صار له هدوؤه وشموله واتساعه.

وجاءت مؤلفاته الرائدة كذلك، بدأت ثائرة متدفقة.. وانتهت إلى الرسوخ واليقين... وفي كلها كان مخلصاً، لا يبتغي بأي منها عرضاً من أعراض الدنيا. بل لقد جاءته الدنيا تعرض نفسها عليه من أوسع أبوابها، فأوَّصد دونها بابه.

(١) انظر قصتي مع التصوف.

(٢) من مقدمة الكتاب * في صحبة الشيخ محمود خطاب إمام السنة وقطب الأقطاب * للأستاذ توفيق أحمد

حسن، تقديم / خالد محمد خالد دار المقطم بالقاهرة.

ومثال على ذلك أن جمال عبد الناصر ورفاقه في مجلس قيادة الثورة كانوا قد قرأوا كتبه قبل الثورة، وتحمسوا لها لدرجة أن عبد الناصر كان يشتري منها - من جيبه الخاص - مئات النسخ ويوزعها على زملائه الضباط^(١)، ومع ذلك لما قامت الثورة لم يرد أن يستفيد منها، وكانت فرصته في ذلك عظيمة، ولكنه بدلاً من ذلك وقف ناقدًا للثورة موجهًا لها، مطالبًا حكومتها بتطبيق الديمقراطية، فكان صدور كتابه "الديمقراطية أبداً" بعد ستة أشهر فقط من قيام الثورة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

وظلت هذه مواقفه من الثورة ورجالها حتى توجت بموقفه الفريد في "اللجنة التحضيرية" سنة ١٩٦١، وفيها انتقد مواقف الثورة من قضايا الحرية والديمقراطية، وعارض ما أراد عبد الناصر القيام به من إجراءات تعسفية ضد من أسموهم - حينئذ - ببقايا الإقطاع، وأعداء الشعب.. بعد أن نزعوا أموالهم غصبا وظلما، ونكلوا بهم بغير جريمة ارتكبوها، فصاروا بعد عز في ذل، وبعد غني في فاقة وعوز، وبعد أمن في خوف، ولا يجدون من يدافع عنهم، أو يتصر لهم... فكان هو الصوت الوحيد الذي ارتفع في وجه الصمت والخوف، مدافعا عن الحق، طالبا لهم - بدلا من العزل السياسي - "العدل" السياسي، ولما أخذ التصويت في المجلس علي من يعترض علي إجراءات العزل السياسي، كانت يده هي الوحيدة التي ارتفعت في سماء القاعة التي ضمت - يومئذ - ثلاثمائة وستين عضوا^(٢).

منذ كتابه الأول "من هنا نبداً" خرج خالد محمد خالد علي الناس ككاتب فذ، وصاحب فكر، ومنافع عن قضايا الأمة.. وبذا تحدد موقعه كمصلح اجتماعي وزعيم فكري تعلقت به جماهير غفيرة من الناس، وأعجبت بكتبه وأفكاره، ليس في مصر وحدها بل وخارجها أيضا...

وطبع (من هنا نبداً) ست طبعات في ستين اثنتين، وترجم في نفس السنة التي صدر فيها إلي الإنجليزية في أمريكا، وكتبت عنه عدة رسائل وأبحاث جامعية ومقالات في أنحاء متفرقة من أوروبا وأمريكا..

(١) انظر 'قصتي مع الحياة' فصل : حوار مع عبد الناصر.

(٢) انظر 'قصتي مع الحياة' فصل : حوار مع عبد الناصر.

ولكن فطرة المؤلف النقية، ونيته الصادقة جعلاه - فيما بعد - يقول إنه عندما رأي حفاوة أعداء الإسلام بالكتاب أدرك أنه أخطأ فيه.

وهنا يتجلى واحد من مواقف الشجاعة التي امتلأت بها حياته، إذ ظل يفكر فيما دعي إليه فيه من فصل الدين عن الدولة ويقلبه في ذهنه حتى أعلن علي الملا رجوعه عن هذا الرأي، فلم يحجل - وهو الكاتب الكبير - من أن يعلن أنه أخطأ... وراح يصحح ذلك الخطأ بكل قوته.

فلم يترك وسيلة من وسائل إذاعة هذا التصحيح إلا أنها من مقالات، أو تحقيقات صحفية أو إذاعية أو تليفزيونية... ثم لم يكتف بهذا كله، فكتب كتاباً كاملاً أعلن فيه تصحيحه لرأيه الأول، وراح يدلل علي أن الإسلام دين ودولة، بل إنه جعل شعار الكتاب هو: "الإسلام دين ودولة.. حق وقوة.. ثقافة وحضارة.. عبادة وسياسة..".

وقد خلف - رحمه الله - ثروة علمية كبيرة تربو علي ثلاثين كتاباً، غير المقالات والأحاديث الكثيرة التي لم تجمع بعد... وقد نفع الله بأعماله تلك نفعا كبيراً، وتلقفها القراء في شوق، لأنها - ككل أعماله اتسمت بالإخلاص، وتدقت بالعاطفة الصادقة الجياشة..

وأشهر مؤلفاته، وأكثرها انتشاراً هي الإسلاميات التي جاءت فريدة في بابها من حيث الأسلوب، وطريقة تناول، وأشهرها علي الإطلاق "رجال حول الرسول ﷺ" الذي تحدث فيه باقتدار عن سيرة ستين من أصحاب رسول الله ﷺ، و"خلفاء الرسول ﷺ" الذي ضم بين دفتيه خمسة كتب عن الخلفاء الراشدين:

١ - "وجاء أبو بكر".

٢ - "بين يدي عمر".

٣ - "وداعاً عثمان".

٤ - "في رحاب علي".

٥ - "معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز".

وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات كثيرة في أنحاء عديدة من العالم...

ومن كتبه أيضاً: "أبناء الرسول في كربلاء" و"والموعد الله" و"لقاء مع الرسول ﷺ" و"كما تحدث الرسول ﷺ" و"كما تحدث القرآن" و"إنسانيات محمد ﷺ" و"عشرة أيام في حياة الرسول ﷺ" وغيرها..

أما كتبه السياسية و الإنسانية و الاجتماعية و الفلسفية فهي عديدة كتب منها ثلاثة كتب في موضوع الديمقراطية وحدها، وهي:

"الديمقراطية أبداً" و"دفاع عن الديمقراطية" و"لو شهدت حوارهم لقلت" .. راجع قائمة المؤلفات في آخر الكتاب..

وكتب - أيضاً - مذكراته في كتاب "قصتي مع الحياة"، وقد نشرت لأول مرة في جريدة "المسلمون" السعودية و"المصور" المصرية في آن واحد، وبعد أن تمت طبعت في جزء واحد في مؤسسة أخبار اليوم، ثم طبعت طبعة جديدة بدار المقطم بالقاهرة.

وكان آخر كتبه "الإسلام يتادي البشر"، وقد أراد له أن يخرج في ثلاثة أجزاء:

الأول: "إلى هذا الرسول ﷺ"

الثاني: "إلى هذا الكتاب" (القرآن)

والثالث: "إلى هذا الدين"

ولكنه لم يتمكن إلا من كتابة الجزء الأول، ثم وافته المنية.

أما عن عاداته في الكتابة، فإنه لم يكن يجلس للكتابة - قط - إلا إذا استشعر الحاجة الملحة لذلك - وتكون الفكرة التي يريد الكتابة عنها قد نضجت، وطلبت الظهور، حيث يجلس في أي مكان، وفي أي ظروف ويبدأ في الكتابة دون أن يلتفت لما حوله أو ينشغل به... وقد غمضي - أحياناً - من حياته سنوات دون أن يكتب فيها شيئاً لأنه لم يجد ما يجيب في نفسه الدافع للكتابة.

وقد اتسمت كتاباته بأسلوب رشيق بديع، وقدرة فائقة على التعبير والغوص إلى جوهر الأشياء، ووصفها بيسر وروعة، واقتدار. وكان كثيراً ما يسأل عن السر في جمال أسلوبه فكان يقول:

"إن الأسلوب في الكتابة لا يصنع شيء إلا رب العالمين"

وقد أورد الدكتور شاكر النابلسي في كتابه الذي كتبه عنه نموذجاً من كتابته، وجعله تحت عنوان "عزف لغوي" (١)، وهو العنوان الذي يصف رشاقة أسلوبه وجماله، ونفوذه إلى القلوب.

وكان - رحمه الله - طيب النفس، مستبشراً في عامة أوقاته، تغلب عليه السكينة والتأمل.. وكان غاية في الكرم، غاية في التواضع ونبل الأخلاق، باراً بالديه وصولاً للأرحام مراعيّاً لحقوق الزمالة والجيران، ساعياً - إلى آخر أيامه - في قضاء حوائج الناس، لا يمل من كثرة قاصديه، ولا يضجر من إلحاح بعضهم عليه حتى في أوقات مرضه، وكان يقول: "تلك زكاة الجاه".

واتسمت حياته كلها بالزهد في المال والمناصب ومظاهر الجاه، وقد استفاض في وصف ذلك من عرفوه وكتبوا عنه (٢) ومن ذلك أيضاً مواقفه التي أظهرت ما كان عليه من شجاعة ومن مكارم الأخلاق منها موقفه من الإخوان المسلمين الذين كان قد عارضهم قبل الثورة، ولكنه بعدها، وبعد أن نكلت الثورة بهم ومزقتهم كل ممزق، طُلب منه مهاجمتهم وتقدهم فأبى ولم يخضع لإغراء ولا تهديد قائلاً: "لقد ناقشت الإخوان ونقدت فكرهم وسلوكهم يوم كان بعض قادة الثورة من مجاذيهم!! ويوم كانوا من القوة بمكان... أما اليوم وهم في المعتقلات والسجون تحت وطأة التعذيب، فقد أوصانا سيدنا الرسول ﷺ ألا نجهز علي جريح".

وقد نقل الشيخ يوسف القرضاوي تفاصيل هذا الموقف في مذكراته التي نشرها في جريدة "آفاق عربية" (العدد رقم ٥٧٣) (٣).

كان - رحمه الله - محباً للخير، مسارعاً إليه، كأنه كان يصف كوامن الخير في نفسه عندما كتب هذه السطور من كتابه "لقاء مع الرسول ﷺ":

"فإذا سألتني - أيها القارئ - ما الخير؟ أجيبك من فوري: إنه الخير.. إنه ذلك الذي يجعل

(١) ثورة التراث، دراسة في فكر خالد محمد خالد الدكتور شاكر النابلسي

(٢) راجع 'قصتي مع التصوف' ص ٢٧ وما بعدها طبعة دار المنظم بالقاهرة.

(٣) راجع 'قصتي مع التصوف' ص ٤٤ وما بعدها ط المنظم.

لإنسان إنساناً حي القلب، ريان الصمير وذلك الذي جعل من ملأه الآخرين،
ياؤوب إنك كي أوي المحرور إلي ظل شجرة، أو كما ياوي الطعام إلي عين ثره تعيصر الماء
البارد الصمير.

هو انعكاس إنسانيتك علي الآخرين، وإصغاء فصائل نفسك البارة لكريمة علي الحياة
وعلي الأحياء.

وإن خير ما يصنع المرء في حياته هو أن تسع حياته الناس رحمة وبراً، ومحة ووداً"
فكان محاسناً، لجميع الناس، مناساً بهم، متوددا إليهم، متعافلاً عن أخطائهم
متسامحاً مع من يسيئون إليه..

باحتصار - كان متحللاً بأخلاق الإسلام، وإن لم يحرص علي أن يكسو نفسه بمظهره
بل له مظهر الرجل العادي - كسائر الناس أما سلوكه وأخلاقه فكانا بدلان عني عمق إيمان
ورسوخ يقين..

وكن يعرف ذلك إلي التصوف فيقول في مذكراته.

"ومرة أخرى أنحي إجلالا للتصوف، فهو الذي سكب في روحي كل ما روي طمأه
إي الخير والسكينة والمرحة والمعللة، وكل ما بقي لي. من قربات ومعتم ومبعم، ومن
فصائل وقدرة وإصرار وإليه أولاً يرجع الفصل بين كل الأسباب، وقبل كل الأسباب"
لقد كن - رحمه الله - عن تشرب روح التصوف مديعته، ولم يكن تصوفه إلا في قلبه،
فلم يتم إلي أي من طرقه، بل تلقاه مكرراً علي يد شيوخه السكي رضي الله عنه
وكان محب لأهله أيما وجدوا مداوماً علي ريادة أصرحة أهل البيت، وأولياء الله الصالحين.
ومن أقواله الماثورة:

"إني لا أرفض إنساناً لأن فيه خطأ أو اثنين أو عشرة، وأرفض معه بقية فصائنه، فقد توحد
فيه فضيلة واحدة تزن صلاح مائة عابد".

"إن الحب هو جوهر الحياة إن الحب يولد في النفوس طاقة لا تعددها طاقة أخرى في الكون ولا تقايلها".

"الله سبحانه لا يعيق لها حزين إليه، والمسافرين إلى رصوانه، بل يجعل لهم الأرض مهداً، والسماء سبلاً".

"علي رأس فصائل الحياة وشعار الدين تقف فصيلة الحب"
 "لا بد للحب كي يصفو ويدوم أن يكون خالصاً، صافياً، نقياً، وكلمة واحدة. أن يكون لله رب العالمين".

"كما سام موت.. وكما سيقط نعت ومن كان في شك من الموت والنعت، فليعيش إن استطاع بلا يوم وبلا استيقاظ"

"علاقة العبد بربه تتطلب مراعاة مستمرة للتبعات التي تفرضها والسلوك الذي يحمل به هذه التبعات"

"إن من طول ما ألف بعض الأدب العرائنة، وبعض الأحاديث الويه، أصبحنا لا نهر من أعماق بسر الباهر الذي يحمله، والحكمة الثاقبة التي تمسحها"

"إن صحبت الصالحين الذين لم تجمعنا هم حلقة مباشرة تكشف عن حقيقة أنفسنا وما لها من حظوظ الخير والفضيلة".

"لا تجد مؤمناً بلا حياة، ولا منافقاً إلا عديم الحياة"

"الإسلام م يأت ليعلما أخلاق الصوامع بل لعلما أخلاق المدينة"

"لكذب مفسدة مظنفة، لأنه سريع النمو، سريع الانتشار، وله صراوة كصراوة الخمر أو اشد"

"الرياء آفة تمحق الأعمال وتردها تراباً في تراب"

"التواضع نعمة من الله يهبها لكبار النفوس".

"الإيمان بالقدر لا يقول لك سم وانتظر فذكر بل يقول قم واكتشف فذكر"

وسئل عن القومية العربية فأجاب "إني لا أعرف شيئاً عن القومية العربية، ولكني أعرف أشياء عن الوحدة الإسلامية"

وقال شعر آفي عيد مولد النبي ﷺ :

بسا عبيد مولده كم دا تواتيا تشدو فتهجها، تشحو فتكيا
قل لبر رسول إذا ما جنت روصته أدرك شعوبك قد حار المداووا

وفاته:

كان رحمه الله - قد مرض مرضاً طويلاً، واشتد عليه في سنواته الأخيرة، ومع ذلك كان دائم القول " لا راحة للمؤمن دون لقاء الله " ولم تكن فكرة الموت برعجه، بل كان كملتظر به على شرق، وقد استعد له، وأوصي بما يريد..

وكان من وصيته أن يصلي عليه في الجامع الأزهر، معهدة العلمي، ومرتع صباه وشبابه، وأن يدفن بمريته "العدوة" بجوار الآباء والأجداد والإخوان والأهل

وجاءته الوفاة وهو في المستشفى يوم الخميس، ليلة الجمعة ٩ شوال سنة ١٤١٦ هـ الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٦ م - عن عمر باهر الستة والسعين عاماً

للهم إني قد قلت فيه ملع علمي..

ولا يحلو كلامي من أثر حب الولد لو الله..

اللهم لا تكله إلى عمله .

واشمه برحمتك يا بر يا رحيم..

وصل اللهم على الخبيب الشفيق..

سيدنا محمد...

وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين..



إلى كلمة سواء

مقالات نشرت في الفترة

ما بين سنة ١٩٨١م

إلى سنة ١٩٨٦م



الشوق إلى الله

نحن من الله حثا وإلى الله نعود وأول ما عرفت أرواحا المحبة عرفتها في محبة الله وأول

ما عرفت الشوق عرفته إلى الله

هكذا يقول "أهل الله" من أوليائه ومن العارفين به. وإسهم ليذكرونا بالرسول إمام الصالحين
واشتاقين إذ كان يدعو ربه بأحب الأدعية إليه فيقول "أسألك لده الطير إلى وجهك،
والشوق إلى لقائك".

والشوق إلى الله نعمته الكبرى علي من يصطفي من عباده

وما دامت أرواحنا - بادئ ذي بدء - لم تعرف الحب إلا له . ولم تعرف الشوق إلا إليه ..
فهو سبحانه الحدير بكل حيا والحدير بكل أشواقنا ومهما يحب غيره . ومهما اشتاق إلى
سواه . فالأمر كما يقول الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوي ما الحب إلا للحبيب الأول

والله هو حبيب الأول فعندما بدأت إنسانية الإنسان وحين حلب فيه النعجة لماركة من روح الله كان الله أول من عرف وأول من أحب ثم لما ناعدت الخطب بيه وبين باريته صار يتلمس الطريق بيه ويدفعه الحين والشوق إليه بيد أن درجات هذا الشوق تختلف من إنسان لآخر، لأن مرد هذا الشوق إلى الروح وأكثر الأرواح حبسا إلى الله وشوقا إليه هي تلك التي وجدت ولادة ثانية أخرجتها من مشيمة النفس وظلمة الطمع.. تلك التي يبادي الله أصحابها بقوله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ [الحج: ١١٠].

وإني حد ما أستطيع أن أقول إن الشوق عاطفة مسادلة بين أيدي الله وعباده فنحن نشتاقه وهو يشتاقنا، ونحن نحبه وهو يحسننا، ويقصد بكلمة "نحس" أولئك الذين لم يؤثروا على الله أحدا، ولا يعصون له أمرا وهو دانا بمجدهم حيث أمرهم، ولا يجدهم حيث نهاهم.

يقول يحيى بن معاذ "علامة الشوق إلى الله فطام الخوارج عن الشهوات". والذين تعمروا أفئدتهم بهذا الشوق يتركون ما عمي عنه كثيرون، يتركون أن رحمة الله قريبة من المحسنين ويعرفون أن مريم السهر إلى رصوانه لا يكاد يلوح بعمره وبأشواقه حتى يجد كل مراكب النعمة في انتظاره لتطلق به في الموكب المجيد والسعيد، فالرب الذي يشنون الرحال إليه، ليس فقط الأول في وجوده بل والأول في جوده، فلما إن الله يحب عباده الصالحين كما يحبونه، ويشتاق إليهم كما يشتاقون إليه، وإلى هذا المعنى الكبير يشير الحديث القدسي الذي يقول الله فيه عن عبده الصالح "إذا أحسنه، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إذا مشي إلى شراً مشيت إليه ذراعاً وإن مشي إلى ذراعاً مشيت إليه ذراعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة".

نظروا إذا أتاني يمشي أتيته هرولة أهالك حماوة وتودد كهذا الذي يعد الله به عباده المدين بحبونه فيحبهم، ويشتاقون إليه فيهرول إليهم؟^١ إن الشوق إلى الله ضروري لكل حياة صالحة، لأنه عصمة يعصم الإنسان المؤمن من شر الخطايا، وهي العقلة عن الله. قال صبي الله عليه وسلم "إذا رأيتم أهل اللأء فسلوا الله العافية" ثم قال أحد العارفين في تفسير الحديث أتدرون من أهل اللأء؟ هم أهل العقلة عن الله وأنت قد تذكر الله ولا تعمل عنه تحت وطأة الخوف منه ولكن أفضل من ذلك أن تذكره بدافع الرجاء فيه. ولا شيء يقوي الرجاء في

الله مثل رياضه النفس علي تذكر آلائه تذكر ابعني في الروح حبه، ويؤلفها بالشوق العظيم إليه وكله عاشق المؤمن في كلاءة الله، وفي تذكر حلاله كلما كان قريبا منه، وكلها أحس بقربه ارداد شوقه، وتصرم وجده.. وصدق الشاعر إذ قال.

وأشرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الخيام من الخيام

والشوق إلي الله يتطلب ما نخردها عن الهوى وعلمة علي النفس، يقول واحد من كبار المعاصرين هو أبو يزيد السطامي "إذا قلت يا رب أيس الطريق إليك؟ جاءك إهداء حل نفسك وتعال!!"

أحل حل نفسك وتعال فالنفس المظلة بأطباعها وشهواتها حجاب كثيف وكثيف جدا، يعمى عن الطريق ويحجب عما الرؤية، ويجذب حطانا إلى الأرض

إن الشوق إلى الله سرور في حصرته.. أفريد أن تمرل في حصرة الله دون أن يطرأ عليك حديد يتناسب مع صاكة العبد وعظمة الرب؟ إن أهول صور هذا الحديد هو تحريك عن نفسك.. "حل نفسك وتعال..."

وإذا تحيت عن نفسك، أي عن شهواتها ورعائها التي لا تنهي، تفحرت روحك شوقا إلى الله وحبه له، وسسها عرور نفسك الكاد وتلاشى كرياؤها الماطلة وستراها علي حقيقته كطفل فوق ثبح بحر عريض قامت قيامة أمواجه، وليس إلى بحانه سبيل، وفحاة تمتد إليه في هدوء، واثق يد حاية وقادرة تفهر البحر وتدل الموح، وتجعل من الطفل السباح المرعوب سيد البحر والموح والخطر والمهل.

أي أن تحيك عن نفسك من أجل الله سيردها إليك فتية بقدرة الله لألاءة سورة، متلعة بجلاله وهكذا نصدق الحكمة الفائلة "من فقد نفسه من أجل الله وجدها".

سئل صوفي حكيم: هل تتشاق إلى الله؟

فأجاب: إنما يكون الشوق إلى عائب وهو لا يعيب أبدا



الأسرة في الإسلام

هذا الموضوع واسع وعريض ومعين، لا تتسع له بضعة أسطر في مجلة سيارة ولكن،

لنحاول أن نقدم كلمات كأنها مقدمة للموضوع، أو دليل من يديه.

وللأسرة في الإسلام مكانة مرموقة ومسئوليات فادحة وهي تعطي كل العلاقات الأسرية بين الزوجين أولاً، ثم بين الأساء والأبناء، والأساء والأمهات، ثم بين الإخوة بعضهم مع بعض، ثم مع الرحم وقوي القربى.

فلا يترك الإسلام صغيرة من هذه الجوانب ولا كبيرة إلا عطاها بتعاليمه ودورها توجيهاً ووصايا.

ويبدأ الإسلام بحقوق الصحة بين الزوجين باعتبارهما أصل الشجرة التي سترسل فروعها وأغصانها وثمارها.

والنجاح في الحياة الزوجية تنويح للنجاح في العلاقات الإنسانية كلها إذ فاقد الشيء لا يعطيه . ومن يعجز عن العيش في سلام تحت سقف بيته فهو أكثر عجزاً عن العيش في سلام

مع العالم اندي حوله ولعل هذا جزء من معني قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروحانية: "هي جنتك أو نارك".

أهل ، والروحة النقية، المهذبة المثقفة، الودودة لجة الأرض والحياة، حنة لروحها، وحنة لأولادها وأهلها.

والروحة البينة النديثة الخاهلة نار لا تطاق!!

والرسول الكريم يورع تبعات الحياة الروحية علي الرجل والمرأة في تكافؤ ذكي ووثيق فهو يقول لروحة "لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت الروحة أن تسجد لروحها" ثم في نفس الوقت يقول للأرواح "حركم حركم لأهله وأن حركم لأهلي" ويقول مدب الأرواح "استوصوا بالنساء حبراً" ويقول "لا يكره مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي آخر" أي أن علي الزوج الصالح ألا يشد في روحه الكمال المطلق، فليس للكمال المطلق علي الأرض مكان ولعله حين يشد الكمال السبي يسريح ويريح، فإن كره من روحه خلقاً سرته أخلاق آخر. من أهل هذا قال الرسول "حركم حركم لسائهم".

إن وثيقة الرواح في الإسلام ليست صفة مخارية أو اتفاقاً تجارياً بين اثنين بل هي ميثاق بين قسرين وحيين وحياتين هي مهاد لأساء سيربون البيت كرهور الخديفة هي مسئولة متدلة، ومسئولة عن خلق صالح وصحي لحياة أسرة بأكملها تمتد عن طريق الأساء والأحفاد وأبناء الأحفاد إلي ما شاء الله.

وببدأ الرسول تعالىمه الرشيدة مع اللحظات الأولى لساء الأسرة، فيطالب بإزالة الأعانت من طريق الرواح ويتمثل الأعانت أول ما يتمثل في تصحيم الصداق والمهر مما يشود المتقدم للرواح، وقد يصطره للدين. وما يجعل الرينة صفة بعينة بقدر ما هي مهطلة وثقيلة. مما شاهده ليوم في بعض البلاد العربية الإسلامية إذ تلج المهور فيها حد الإعجار، ويبدو وكأن الوالد يسع الله، فهو يعالي في ثمنها كما يعالي المحاسن في أنباء حوار الرقيق الحسن !!

ويعب عن أن أقدهن مهراً، أكثرهن بركة، كما يعيب عن قول الرسول عليه السلام. 'حبر

الصداق أيسره".

ذهب إلي الرسول يوماً أحد أصحابه، وأخبره أنه تروح، فسأله الرسول عليه السلام علي كم نزوجتها؟ ويجيب الصحابي علي أربع أواق فيقول الرسول مسكناً ومستنكراً: علي أربع أواق؟ كأنكم تحننون الفضة من عرص الحمل!!

ثم يصنع الرسول اللسنة الثابتة في الحياة الأسرية وذلك بحسن الاصطفااء والاختيار وسمعه يقول « تنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، وجمالها، ودينها فاطمربدات الدين تربت يداك »!!

بيد أنه مع وصيته بدات الدين، لا يريد للمسلم أن يختار زوجته وهو في غبوة من ورعه بل يجب أن يختار احتيار القبط البصير، جاءه عليه السلام ذات يوم أحد أصحابه يخبره أنه حطب فتاة من الأنصار فسأله الرسول هل نظرت إليها؟ فيقول الصحابي لا فيقول لرسول اذهب فاطظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئاً ويوضح الأمر في وصيته لصحابي آخر حطب فتاة دون أن يراها " انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما "

ولكني تقوم الأسرة وتهص علي أساس راسخ ومكين تراه عليه السلام يدعو للتكافؤ بين الروحانيين والنامس في سلم الحياة الاجتماعية غير متكافئين.

ومن أخير للحياة الروحانية أن تقوم بين أطراف متقاربة في الوصع الاجتماعي وهذا من لرسول إدراك صادق وسديد للطوائع الإنسانية والاجتماعية

ولعلنا نذكر تلك الفتاة التي ذهبت إلي الرسول شاكية تقول: إن أبي زوجني من ابن أخيه برفع بي حسيسته . فقال لها الرسول إن شئت أمصيت الرواح وإن شئت بقصته

ولكن الفتاة أحاست. إي يا رسول الله أخير ما صنع بي، ولكنني أردت أن أسألك فتفهي لي، فيعلم النساء أن ليس للرجال من أمرهن شيء .

وهنا نلمح بعدا جديدا للموضوع الكفاءة في الب الذي جعله بعض الأئمة والمفهاء شرطاً من شروط صحته الرواح أقول: نلمح بعدا جديدا للموضوع فالمستوي الاجتماعي

واعاني هذا واحد، لأن الروح انس عم الروجة، يد أنه غير كفء لها شخصه وها جعل الرسول لها أمر إمضاء الروح أو نقصه من أجل هذا قال أمير المؤمنين عمر قولته الدكية الحكيمة « لا مضر روح دوات الأحساب إلا من الأكفاء » وهو في هذا يمثل لقول الرسول عليه السلام « تحيروا النظمكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم »

ويطر بعض الحمقى أن تشريع الطلاق هدم للعلاقات العائلية، بأسس أن ثمة ظروف تجعل الحياة الزوجية ثقيلة ومستحيلة وأن الطلاق عندئذ كآثر الدواء الكمي، « وإن يتفرقا بعض لثمة صكلاً من سعته، » [النساء ١٣٠] وحسب الإسلام في هذا قول رسوله الكريم " أبعد الحلال إلى الله الطلاق "

وكيف يشرع الرسول شريعاً يقوِّص النظام العائلي أو يلحق بالمرأة الأذى وهو الذي يقول « استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم. ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » !!

وأنه عليه السلام ليصرب مثلاً للدين سارعون إلى الطلاق وتقوِّص الأسرة بهول " إن ينس يبعث سراياه فأدباهم منه منزلة أعظمهم منزلة يحىء أحدهم، فيقول فعلت كذا وكذا فيقول له إيليس ما صعب شيئاً، ثم يحىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت به وبين زوجته.. فيقول له إيليس : نعم أنت "

ويصع الرسول أوثق الأسس للعلاقات بين الأولاد والديهم فيوصي الأناء بأبنائهم، ويوصي الأناء بأبنائهم وأمهاتهم بقول القرآن الكريم « وَقَصَىٰ رُبُّكَ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِآلِهِ دِينًا خَيْرًا » ويقول « فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا مَّعْرُوفًا » [الإسراء ٢٣] ويقول الرسول عليه السلام « لو كان هناك شيء أذى من الأف سبى الله عنه »

وتداح سبيل العلاقات الأسرية حتى تنال الرحم كله رفوي القربي جميعاً

يقول عليه السلام « الرحم معلقة بالعرش، نقول من وصلي وصله الله، ومن قطعي قطعه الله ».

ويأتي أتباعه الأكثرين قائلا: " يا معشر المسلمين، اتقوا الله وصلوا أرحامكم، فبه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم "!!

ولقد سأل الرسول ذات يوم سائل فقال " يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون عني فقل له لرسول: إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت عي ذلك ".

والإنسان ندي يتنهج هذا النهج يكون كأنما يسف الآخرين المل أي له عليهم الحجة وهو أن يرهم ويسئون، ويصلهم ويقطعون إنما يحجلهم ويدل عطر مستهم ويقطي بر عبادهم وعيظ قلوبهم.

وهذه خير صلات ذوي القربى وأكثرها مثوبة عند الله، فليس الواصل كذلك في كذا يقول الرسول ﷺ، ولكنه من يحفظ ذمة الله في الأقربين ودوي الأرحام

هذه الإمامة عابرة وسريعة بما للأسرة في الإسلام، ولن نجد ديننا ولا فلسفة ولا نظام أعطي الأسرة من ذات نفسه ذلك الجهد السيل للحفاظ عليها وتوقيرها وتمكيها من الشات وحسن الصحة والاستمرار.



يا أتباع محمد من أي البلاد اتحدوا

ألف مليون بحر ؟ أم ثمانمائة مليون ؟ أو مستمائه مليون ؟ أم أدب من ذلك أم أكثر ؟

لقد اختلف العدون والمحضون كل على علي لبلاء من أحاقته الكثرة من حصوم الإسلام هبط إلى القليل، ومن أفرعته القلة ارتفع إلى الكثير ولكن أنا ما تكن الحقيقة فاعبرة بالوفرة لا بالكثرة وفي الوفرة البركة والفرح يعلم أساءه فيقول ﴿ كُفُّوا مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

وفي العصر الأول للإسلام كانت القلة المزمومة الصامدة أغلب للكثرة العديدة الجارفة. ولقد أرعجت انكثرة الهزيمة الهائلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تكشفت له أستار لعب مصر والمستقبل الذي ينتظر أمته في بعض حقها فرأى الأمم تتداعى عليها كما تتداعى لأكلة بي قصعتها وصرع أصحابه منسائلوا أو من قلة بحر يومئذ رسول الله ؟ فأحاسهم بل أنتم يومئذ كثير، ولكم عشاء كعشاء السيل وليس عن الله من قلوب عدوكم

إنهاء منكم ، فإن كثرة الحسابية لا تعني شئنا عن أصالة الوعي ومقدرتها . وإن ملايين ثلاثة من الإسرائيليين يعربدون في أرض العرونة والإسلام ويستعلون علي عشرات الملايين من العرب ومئات الملايين من المسلمين .

إن أتباع محمد في كل العصور كثيرون بمحمد ، فليولون بذوبه . وهذه هي الحقيقة العائنة عندنا . فما كان الرسول ساحراً يصنع في نطق فتخرج منه الثعابين تلتف حول رقاب أعدائه !! ولكنه كان مريباً وهدياً يصنع اللسان السوية الباصحة ليشيد بها ساءه

كان محمد أستاذاً في من الجهاد وفي إعداد الرجال له . ولقد أحب إسلامه رجالاً لا يدافعون بأسلحتهم عن صدورهم بل يدافعون بصدورهم عن أسلحتهم !! رجال لا يصبر أحدهم علي مصع مصع تمرات يسم بها أوده ويستكر أن يحول مضجعا بينه وبين الحنة فيلقي بها أرضاً ، ثم يندفع والسيف في يمينه . بارك الله بسمه - يندفع كل رصاص انقذوف معملاً سبعة المرفف في أعناق أعداء الله من المشركين حتي يلعنه الصخرة الفاصية وتميل شمسها للمعيب

لقد عظمتهم رسول الله عليه السلام عن كل ما يجعل الكبار صغاراً ، وردهم إلي الله علي بصيرة ، وأحيي بينهم في الله إحياء وثيقاً ، ورباهم علي كتاب لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورفع لهم الراية التي سيحملونها إلي المصائر الواعدة ، وسارعوا إلي كلمات الله مسارعة أسراب السحل إلي رحيق الرهور ، وكانوا في الله إخواناً . أحل .. كانوا في الله إخواناً .. تلك هي القصيدة . وهذه هي العظمة التي أفاها الله علي جنه - الأخوة الصادقة المحلقة و لا اتحاد المتماثل الوثيق .

كان نور "محمد" هداهم . وكان نورهم يسمي بين أيديهم . عاشرو في مستوى لرسالة التي حملوها ، والراية التي رفعوها ، وتحققوا وتحققوا بقول ربهم سبحانه ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات ١٠] والترموها بما توحىه الآية الكريمة ﴿ يَا هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الأنساء ٩٢] كان هناك رب واحد ، ووحى واحد ، وأمة واحدة وكانوا قسماً واعظانهم سحبة فلم يعد لهم حيث ماكر ، ولم يفتحهم صغورهم المخصوصة خصم فاجر

وحين وقع الخلاف والحرب بين الإمام علي ومعاوية واحه الإسلام محته الكري
فالوحدة التي كانت تحرس المسلمين انصرط عقدها، بيد أن الإسلام امتطي ثبح الديني
والأيام والأحداث محارساً دوره السياسي من الأمويين إلى العثمانيين يفتح لسلاسل، ويمسلم
العدد غير أنه كثيراً ما كان يتلفت طوال مسيرته الباصية باحثاً عن حبيب عاب عن موكله
الهادر.

• أحل، كان يبحث عن الوحدة التي ساهار رسولته بقله وأعضانه

كان يبحث عن الدين وحدث بينهم بدر، وأحد، وحسين، والخندق، وتوكل، واليرموك،
والقادسية يبحث عن الوحدة التي جعلت من رعاة الشاة رعاء للأمم، وفاتحين للأرض،
وصانعين للحضارة، وهادين من الضلال

• كان لا يفتأ يلقي علي أتباعه الدرس تلو الدرس بأن الوحدة كانت عصب الحياة
للمسلمين الأوائل، وأنها اليوم الضرورة الملحة لكل سعي ناجح
إبه عداة الحرب العالمية الثانية صعبت الإمبراطوريات القديمة وظهرت دولة الإسلام
بأستقلال يكاد يتساوى فيه الكمال والنقصان.

فهل اقرب أتباع "محمد" من الحقيقة ؟ هل عزموا علي إرجاع "الوحدة" عائهم المتمد
إلى مكانه من سعيهم وبصاطهم..؟

• هل اعتبروا ساريهم، حيث كان وراء كل فور لهم اتحاد وثيق، ووراء كل حدلان فرقة
وخلاف..؟

• أليس كبري المصائب أن بري الفلسطينيين الدين يطمحون إلى رقعة صغيرة من وطنهم
السليب يتحدوها سكناً وملجأ . براهم وقد اتحد بعضهم بعضاً عدواً، يتسافكون اسدماً،
ويستكثرون من التامي والأيامي بما يقتلون من آباء وأرواح، ويمارسون من صنوف القتل
والقتل أكثرها وحشية ونذالة..؟

أليس من مصائب الكري أن نسي أمانستان في زحام تلك المصائب - فكأنها لا تقابل،
وكأنها لا تعاني، وكأنها لا تموت..؟

• ست داعمه بأس ولا من الدين يقطون من رحمة الله، ولا يتناسي ريب في أن شمس الإسلام آحدة في لشروق ولكن ذلك لا يعني أن تجهل أو سبي تمنانا تجاه المنصير إنا قادرون علي أن نعود سادة، أو إلي حوار السادة إذا نحن جمعنا صغوفنا، وتوحدت إرادتنا ومشاعرنا ورؤانا.

أقولون هذه أحلام بأنم ورؤى مخدوع ؟ أولوها إذن وهسروها إن كنتم تدرون تعبرون !
نحن ما شتتم من ملايين البشر - ألف مليون أو أدي من ذلك أو أكثر وحرء كبير من بلادنا تكثر فيه الأموال كثرة الرمال !

وفيا، عقول مفتخرة، ومواهب شامخة تعطي كل محالات الحياة - سحقها العرب كلها بكشمت له أو بعدها إسرائيل وهي لا تزال في بصارة الإهاب.

وداؤك فبك وما شعر وما هذا الداء المدعوم الويل إلا الفرقة والخلاف، الفرقة بين رعماء المسلمين وفادتهم ورؤسائهم، والتي تتهل بدورها إلي جماعاتهم وشعوبهم

إني لا أزال أذكر القصة التي تلونهاها في كتب المطالعة والمحفوظات ونحن صغار ولا بأس من تذكرها وذكرها فلعلنا لا نزال صغار !! بل كم قصة الرجل الذي حانت مسته، فجمع أولاده وأمرهم أن يأتوا بعصه من العصي. ثم أعطي الحرمة لكل واحد علي حدة وأمره بكسرها مجتمعة، فاستعصت عليهم جميعاً، ثم فرق الحرمة المتحلة إلي أعواد متفرقة وأعطي كل واحد منهم عصا وأمره بكسرها، فنهشم العصي في أيديهم بغير جهد مذكور

وبرقت عينا الأب المحتصر وقال لأولاده أرايتم ؟ إنكم مجتمعين - مثل هذه العصي مجتمعة - يصعب كسرها ولكنكم - متفرقين - مثلها متفرقة - ثم أشأ يقول

كوبوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطيب، ولا تتفرقوا أحاداً
نأب العصي إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أحاداً

إن كل ما نطمح إليه ممكن بالاتحاد يا رجال

وليس الاتحاد نجية برجيه بعضا لبعض ونحن غابروا سبيل ولا هو بالعاق والقبليات يهمل بها بعض علي بعض في اللقاء وفي الوداع ولا هو احترار بمصائب وأحراسا وحنوع

عني بكاء الأطلال!!

إن الاتحاد أعمق مفهوماً وأبعد غوراً.

وإذا كانت الكلمة تمثل قلنا في إقام الصلاة، فالإتحاد يمثل قلنا لا تنصارنا في الحياة..

إن في المسلمين دولاً غنية متقدمة، وأخرى فقيرة متخلفة

والإتحاد يتطلب أن تتقدم الدول الأعلى بكل عونها للدول الأدنى فتشحنها وعي أرضها

من المصانع والمزارع والمستشفيات والمدارس ما يسد عورها وحاجتها

كان الرسول ﷺ يصرب لأصحابه المثل الأعلى في التكافل وفي الاتحاد الحقيقي فيقول

"إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا في غزو أو قل في أيديهم الطعام جمعوا ما عندهم، ثم أقسموه بالنسوة. فهم مني وأنا منهم".

والإتحاد الحق هو الذي تتحد فيه الدوافع والعادات والطوائف وتتفاعل تفاعلاً سلباً في

المجتمع الإسلامي بأسره.

فإذا كانت عابثاً أن نحيا فوق الأرض لا تحتها، وأن يأخذ بأسلوب العصر في بناء

حصارتنا، فإن أوبي خطواتنا على هذا الطريق أن تقوم الدول المسلمة المتقدمة بتمكين الأمم

المتخلفة والمعوزة من تحقيق المستوى الحضاري الذي لا تستطيع أمه اليوم أن تعيش دونه

هذا معني من معاني الاتحاد الحق وواحد من معانيه، الاتحاد الذي يدعونا إليه رسولنا

الكريم فيقول: "وكونوا عباد الله إخواناً"

إن أوروبا رعم استعنائها رأت حبر حاصرهما، وصيان مستقبلها في اتحاد يشاوب أكثر

حوائب الحياة حساسية ومشقة - وهو الاقتصاد محرك التاريخ - فأشأت السوق الأوروبية

المشتركة، وكاهجت بريطانيا كهاج المستعبد كي تلحق بقطارها، وتصنع واحداً من أعضائه

وتحملت كل إهانات ديجول وهو يرفض عضويتها ونكر إدراكها السديد لقيمة هذا التجمع

وهذا الاتحاد أبعد عمى الأسس وث في قلبها الأمل حتي طمرت بها تريد

أليس عالمنا الإسلامي في حاجة إلى سوق إسلامية مشتركة ترأب صدعه وتسهم في حل

مشاكله؟ إن الخلافات السياسية الحادة والشريرة الواقعة والناشئة بين بعض سياسيه ورؤسائه
تصبيا بالإحباط حين نفكر في هذه المحاولة.

بيد أن هذه الخلافات ليست قدراً مفروضاً علينا وإياها ما كانت لتلغ هد امدى من
الصراوة لو لم يكن وراءها دول كبرى مستعمرة تحشي وتقاوم كل صحوة للإسلام وهي هذا
تستخدم كل يهودها في إثارة الشجاء والبصاء بين رعياء المسلمين ورؤسائهم وهي تخوف
وترهب، وتهمد بالانقلاسات والمؤامرات كل دولة مسلمة تحاول التمرد علي محططاتها
المحرية

ولكن هذا الوضع حرم من المشكلة التي علينا أن نواجهها ولن نجلها سوا
ولأن نقتطع من طريقا عشر خطوات ونحن متحدون، خير وأجدي من أن نقتطع ألف
خطوة ونحن خرابا متفرقون.

إن مؤامرات الدول الأخرى بنا وتخوفها من صحوتنا وهي كما قلنا جزء من لعلها أخطر
حزم في مشكلتنا وليس الموقف السليم تجاهها أن معجز عن مواجعتها بل أن نستعين بالصبر
والمثابرة والمحاولة علي تحطيتها ومجاوزتها.

إن السوق الإسلامية المشتركة - مثلاً - رغم ما سيصادفها من لؤم ومؤامرات لن تكون
مجرد تبيحة للاتحاد، بل هي وسيلة كبرى له، وسيل معصية إليه

وسيكون لها مشاكلها، كما أن للسوق الأوروبية المشتركة مشاكلها غير أن للمشكلات
حلولا، ولقد استطاعت السوق الأوروبية رغم مشكلاتها أن تقف باقتصادها وصناعاتها في
مواجهة لعملاقين في هذا المجال - أمريكا واليابان.

بني أدكر أن المثلث عهد قد يادي بهذه الفكرة وتبناها، فإلي أين وصل بها ؟

إبه من أقدر الرعياء العرب علي احتصاصها ونهضة السيل ها

• وإن مؤتمر القمة الإسلامي الذي سيعقد في الشهر القادم نقادر علي أن يطرح الفكرة
للبحث والظر وبه سيسدي إلي العالمين العربي والإسلامي أعظم الفرص إذا هو جعل هذا
الموضوع في متاول تفكيره وعزمه وقدراته.

• إن مجلس التعاون الخليجي، ومجلس الوحدة الاقتصادية العرسة بمثلان عملاً قياً

واجبر عطيماً إذا كان مطلقاً لعاية أئمة وعرض أسمى

نحن لا ندعو إلى المحنة، ولا نرحب بالظفرة، ولكننا نأدى بحق الإسلام وبحق المسلمين في امتداد مظنة الوحدة الاقتصادية حتى تشمل الوطن الإسلامي كله ولنتمص المسيرة خطوة خطوة. ولكن لا بد من البدء.

وبعد، فليست أشك في أن أحب رعياء المسلمين إلى الله، وأحباهم علي رحم الإسلام ومصيرهم، وأحلبهم في تاريخ الرجال، هو من يلقي بكل ثقله وعمره لجعل الاتحاد بين المسلمين رحماً موصولة وواقعاً أكيداً

لن ينقد المسلمين بما يحاك لهم ويراد بهم عبر اتحادهم والتماثلهم علي كلمة سواء
إن المسيرة الإسلامية بحاجة إلى حدود مجهولين ورواد ناسين يولون وحوهم شطر الله،
لا يؤثرون علي إسلامهم ديناً عريضة، ولا أطماعاً لاهنة

وعلي كل مسلم أن يكون دعوة جهيرة ودائرة للاتحاد وأن يكون سلوكه خير داع إليه
لقد أحر الرسول عليه السلام أن أكر الكائن الشرك بالله، والإضرار بالناس، فهل
هناك إصرار بالمسلمين مثل شر الفرقة بينهم، وبركهم للحلاف يدمرهم ويجعلهم مرقاً
وأحدث ؟ ويقول رسولنا أيضاً «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»
فهل هناك أكثر شراً وكفراً من حاكم يسحر شعبه المسلم لقتل شعب مسلم آخر؟! إن لأواء
الاتحاد كثرة، وصعوباته كبيرة ولكن إذا كان بشكل الطريق الأوحده لنعتب وحلاصه فهل
من الحكمة أن نقف بلهاء عاحرين أمام الصعاب فلتتقدم في ثبات، ولنجعل نعتاتنا في رشد
ويا أتباع محمد... من كل البلاد اتحدوا.

حتى نشكر الله

من أحاديث الرسول العظيم ﷺ، التي حملها إليها العذول البررة هذا الحديث المنألق

"من لم يشكر الناس، لم يشكر الله"!!

وهو حديث يتواكب مع أخلاق رسول جاء الحياة لينعم مكارم الأخلاق رسول لا تراب كلمته وروحانيته، ومن أربعة عشر قرناً، ترسل في الحياة صوءه وسأها وتقن عيها الأجير، حياً بعد جيل، إقبال أسراب السحل علي رحيق الزهور!

لم تشهد العلاقات الإنسانية مشراً أب، ولا داعياً إليها، ولا حانياً عليها مثل "محمد بن عبد الله" رحمه الله للعالمين.

وهذا التوجيه المصني واحد من مئات التوجيهات السامقة والشاهقة التي شادها ومنها عاماً من القصائد والمروءات، ومن العظائم والمكارم، ومن الإحباء الوثيق والوفاء الصدوق! وفي نور هذه التوجيهات السباح تطالعا روحها الاسم هذه الكلمات الوصاءة! "من لم يشكر

(*) عنه لسمون - له الأولي العدد الأولي - الب ١٩ - ٢٥ حادي الأولي ١٤١٥ هـ - ١٥٠٩ م

فراير (شباط) ١٩٨٥ م.

الناس، لم يشكر الله!!

ولو يعرف الناس في المحاملة الرقيقة من إرباء لعظمه الروح، ويدك، لتوهم لإحباء، وإثراء لمباهج الحياة، ما صوابها، ولا اذروا عنها ولقدما بعضهم لبعض في سخاوة نفس وشعب صميم..!!

لكن الشح الذي تشيع فيه برعته الخاحدة، كثراً ما يحرمنا لدادات هذه النعمة، ومتاع هذه الفرصة بل إن بعضاً إذا حامل الآخرين بكلمة شكر، حرجت من بين شعبه كأنها أمر كريم حرجت "مركومة" ومثألة، ومتعالية مع أنه قدر - إذا حسه الله لزوم الطبع - أن يفيض بها منه قلب ودود، وروح مشعة قد شعفها اللحناء!!

فلعود أنفسنا شكر الناس لسعش فيهم وفيها عواطف الحب، وانود، والحنان وحيي نكون إخوة متحابين.. لا شركاء متشاكسين!

كم سدفع من صدق ثم لشكر ترحيه في حفاوة ووحد، وعلاؤه قلب أحيك فرحاً أنيساً، وعظمه متهدية ١٩ لا شيء مستحسره، ولا مال مستعززه بل سرتفع بهذاذكرك، ويتسامي قدرك، ويشرح بك صدر الحياة!! فذكر دائماً كلمات رسولك "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله"

واسحابة لدعوة الرسول هذه، تعالوا نقدم شكرنا لبعضنا لأحويين كريمين، لم أر فيهما مد عرفتهما من نصح سبيل - مجرد باشرين كثيرين ولا مجرد صحفيين ناحيين بل رأيت فيهما - ولا أزال رائدين عظيمين من رواد الصحافة الحديثة، والرشيقة، تحكمهما قيم، وتقودهم مبادئ يستعان بها في عزم الرجال وبإالة الأحرار!!

تحية لها - هشام وعبد علي حافظ - وشكراً من بعده شكر، من بعده عرفان بها وما مدلاه من جهود شائعة ومصلحة لإصدار "المسلمون" ومع صباح كل يوم من أيام بروعه وطهورها، سيكون لها - إن شاء الله - وللعالين معها مثرات بعدد كليتها، وأحادي ياركها الله

كلمات لا تموت

هناك أطنان من الكلمات المبطورة ومن الكلمات الملهوطة تعشت حياة الناس في
 ألوف من الكتب عبر التاريخ الطويل لسي الإنسان - تتعطل في، أو يمثل فيها لربد اندي
 يذهب جفاء...!!

وثمة كتب أحر كالشموس لا يساهها الزمن، ولا يتركها هرم بل بطل ترص في شبات
 مشرق وريان .. وكأها روح الربيع !!

وآنة حدود هذه الكلمات وسر عظمتها الأسرة أنك تسمعها اليوم، وعداء، وبعد عدد، أو
 تفروها فإذا هي لألاءة طارئة، بينما تكون قد قبلت، أو مطورت من ألوف السنين !!

من هذا الطرار كلمات لا أكاد أذكرها - وما أكثر دكري لها - حتي أراي وكأي أركب نبح
 بحر تتقادهي أمواجه الهادرة المتوائمة، ونحمر عناب نمبي شوة رهية ورهية بشوى !! وكأي
 أنصر أمامي الرجل الذي صدع بها . وكأي كذلك أشهد المكان والزمان والمناسبة !!

ولن أترك شوقكم إلي معرفتها يطول . فما هي دي "متي استعدتم الناس، وقد ولدتهم

أمنهم أحراراً^{١٢٢} يا لروعة القول، ويا لخلال فائله !!

كتب قيس من ألف وأربعمائة عام، بدأها إذا وصفت في إحدى كميتي ميران، ثم وضع في الكلمة لأحري كل ما عني به الفلاسفة والمفكرين والرواد للحرية لرحلتها جميعاً !!

ثم إنها حين تردد اليوم كالشيد العنق، بسبب غيرها اللبب وصدحها الطروب، المكان وإرمان المناسبات التي قبلت فيها، وتعمرها عدوتها ورحولتها بإحساس من يسمعها لأول مرة . وكان أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه بجانه بقوارعها عصره، وانعصور التي سفتها، ولعصور الآتية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

لم تحقق الشعوب ليكون نصيبها من الحرية رصاصها وقتها !!

ولكي يجعل الله عباده مثولاً جعلهم في الوقت نفسه وللنفس نفسه - أحراراً

و حين امتدح "أمير المؤمنين" كلمة "الاستعداد" إنها كان يصفها لطفة تلقاها عني ووجهه فني مصري سابق ابن والي مصر "عمر بن العاص" فسفه فأحدثته العرة بالإثم ولطم الشاب المصري لطفة، أو حتي لطماط . أو علا ظهره بصره من سوطه، أو صررات وقطع النبي المصري وثناً إلى المديح السورة، حيث وضع بين يدي أمير المؤمنين شكاته ومظلمته ومن فوره، أرسل "عمر" إلى "عمر" وأضي علي عجل وليأت استمعك وفي ساحه عدائته وصرامته، باول المصري سوطاً وقال له اصبر ابن الأكرمين !! "حتي إذا استصرع عبط صدره من ابن عمرو، التفت إليه "عمر" قائلاً أحلها علي صلعة "عمر" هو الله ما صربك اسه لا فصل سلطانه قال النبي: لقد صربت من صرني يا أمير المؤمنين قل "عمر" - سلام الله علي "عمر" - والله لو صربت عمرأ ما كنت لأسمعك، حتي تكون أنت الذي تسرع وتكف !! لم ير في بضع لطماط، أو بضع صررات بالسوط مجرد اعتداء . بل رآه استعداداً وقد مني "استعبدتم" ولم يقل متى صرستم، أو مني اعتديتم . وتحدث عطمة 'عمر' رائد الحرية وأبي الأحرار، ولقد كانت هذه الواقعة من حسن حظ الإسلام بل ومن حظ البشرية لتسمع في كل أجيالها هذا النداء الذي يكاد يكون قدسياً، يهني عن المستضعفين ما يعانون من كرب وألمي . ويأخذ مواصي الطعانة، ويكبح في الحارين شهوة التمرد، وعروة الامتلاء، ووقاحة الاستعباد .. !!

العدل الصارم

كان نرومان معد يطلقون عليه "معد الدمة" نذهب إليه من سسحل منصب القضاء، حيث يقسم في هذا المعد يمين الراهه والشرف وكان سوسط أحد حدرانه؛ لشبعة لافنة يحمل هذه الكلمات: "العدل الصارم، ظلم صارم".

ثم جاء عصر عموموا فيه هذه الحكمة، فأصحت تحتل مكاناً رفيعاً فوق رؤوس القصة في قاعات المحاكم، مذكرة القصة بالرحمة العادلة، وبالعدل الرحيم، كما أنها كانت تصفي عبي القبعين في قصص الانهم، إحساساً بالأمل، ورجاء في الرحمة

ولعله كان بين دوافع الرومان لاصطناع هذا الأسلوب، جعلهم الشديد من جرائمهم التي كانت عميقة في اشاعة الإنسانية، بل غير الأدمية!!

ومع ذلك، فهل أعني عنهم "معد الدمة" شيئاً وهل اللافة التي استقرت عليها كلمات تهاوت في الإنصاف والبل استطاعت أن تقترب بأطرفة روماً وفوانيس روماً من العدل حتي وهو مجرد من الرحمة..؟

لقد نشأعت في الشر، نضب ناسها الرحيم علي الناس

وكم تنوى المذاكرة ألباء، وتصحح النفس أسى وكرماً حين يستدعي من التاريخ وقائع
العداات الذي يتعاطم كل تصور وكل وصف، والذي أحار الألف من المسيحيين إلى
"وبيمة" نفسه، لو اكتظت حولها وهشت وتلمطت بلحومها وحسومها وحوش العداات
سي في لأرض جميعاً، ما كان عذاب الصحايا سيرند ويربوا، وما كانت ألامهم لناحية ستزيد
أو تربو علي العداات والألام التي صبا عليها أولئك الذين يعترض فيهم أنهم كانوا أناساً
وشر "أولئك الذين جعلوا شعار قضائهم "العدل الصارم، ظلم صارم"

ودائماً كما يقال - نصددها تميم الأشياء، وإن يكس الشيء العظيم الذي سوي في الآن
وحولها شطره، ليس بحاجة إلى صد يكشف لنا عظمته وروعته، ويجلي أمامنا سوءه وسهائه
ذلكم، هو الإسلام.

لقد فرأت في بريح الشرية كثيراً وأشهد ما التفت بدين، ولا نظام يجعل العدل
نصارم ظمناً صارماً، وأصعاً ذلك موضع التعمد الصادق والدقوب مثلاً وجدت ذلك عند
سدد "محمد" صلى الله عليه وسلم، ولدي ديه الحانم والعظم

بعد كانت الحرب أشد المواقف علي نفسه، وأشقها علي صميمه وإسايته، وما حاصها
فظ إلا والعدل حاديه وحاديه.

ودائماً حين أسأل هل الإسلام دين حرب، أم دين سلام؟؟ أجيب: إن الإسلام لم يكن
هداً، ولا دك

إسما كان ولا يرال دين "عدل"

فحين يفرص العدل حرباً، فهو دين حرب وجهاد، وحين يفرص العدل السلام فهو
دين سلام.

ثم ماذا كان منهجه إذا قاتل وحارب؟

ها نجد هذه الحكمة "العدل الصارم، ظلم صارم" فرضتها المجتدة، والمربدة

فإذا كانت الحرب يرجيها "العدل" فإنه عدل بلا قسوة، وبغير إيمان

انظروا "لا تقتلوا شيعاً، ولا امرأة، ولا وليداً، ولا تقتلوا ررعاً، ولا تحرقوا حلاً
واجتسوا الوجوه، لا تصربوها ولا تمثلوا بأحد، فإن الله بكره "المثلة"

هذه كانت وصاة لرسول، ومن بعد خلفاؤه، حينما يجرح المسلمون لعرو وقتل
بل لم يعرف الإسلام في عصره، ولا في عصر خلفائه ما يسمى بالعدل انصارم .
عرف العدل المستأب، والعدل الرحيم، والعدل السيل
حتي في الحدود التي شرعت عقاباً لبعض الجرائم، والتي كان تعبيرها "عدلاً" يحمي به
المجتمع نفسه، كانت تهادي رحمة وحناناً.

حي أن واحداً منها - وهو حد الربا - شرع الإسلام في حو، والحد في عدالة شرع له
من الحد والعقاب، ما يجعل أمر إقامته، يحمل موانع تعيله
شهود أربعة، يرون "المروء في المكحلة" عل حد تعبر الفقهاء

وهكذا لم يجد "حد الربا" هذا مقام أندأ إلا بإقرار مسخفه واعترافه اعترافاً تلقائياً لم يدفعه
إليه أحد .. وحتي في مثل هذه الحالات يجد "رحمة الله للعالمين" صلى الله عليه وسلم يراجع
الاعتراف، ويمنح له مبادئ النجاة، ويضع أمامه الاحتمالات الكثر التي تكاد تحصره علي الرجوع
عن إقراره واعترافه، ليسحو من العقاب الأليم.

وإذا كانت الحدود "عدلاً" فالنكاح الشهات ها "رحمة" هكذا قال الإسلام

وهكذا قال أصدق العائلين بعد الله "أدروا الحدود بالشهات"

وحتي قتل الحشرات السامة والقاتلة، وهو "عدل" يحمي حياة الإنسان، بدقه عدلاً سيلاً
وعدلاً رحيماً، حين يأمر عليه السلام بالإحسان في قتلها، ويحرمها - مثلاً - أن من قتل "ورعة"
من أول صربة كان له من الأجر أكثر ممن يقتلها في صرتين - وأن من يقتلها بصرتين له من
الأجر أكثر ممن يقتلها بثلاث ضربات.

ذلك أن قتلها بأول صربة يحياها من الألم الذي تسبه عدة ضربات

أي بل ؟ وهل لإسانيات "محمد" صلى الله عليه وسلم من مثيل ؟؟

الوحي، أم العقل؟

سؤال عجيب .. أليس كذلك؟

بل لعله يبدو سؤالاً "استعرازيًا" تنحصر منه العقول.

ومع ذلك فأنا لا أحد أفصل منه ولا أمثل عموماً للقضية التي تثيرها هذه العجالة من الحديث.

ولو أن أحداً وحه إليّ هذا السؤال، لطالنته أن يعيد صياغته ولقلت له إن سؤالك بهذه الصيغة يشبه أن نقول منسائلين "الوحي، أم الوحي" ويشبه أيضاً تساؤلاً. "العقل، أم العقل؟"

فإن سألتني: ولماذا كان ذلك كذلك؟ أجبت

لأن العقل وحي.

أحشي أن يكون الأمر قد ازداد تعقدا وصعوبة

ولكن لا، فسترونه واصححا كصوء النهار.

وردني دي بدء، عليا أن ملاحظ تكرار الحديث عن العقل في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة وعن الفقه عشرين مرة وعن المكر تسع عشرة مرة

أي أنه تحدث عن عقل الإنسان، وعن فقهه وفكره - والثلاثة شيء واحد - ثانيا وثلاثين مرة

وهو لم يسبق هذا الحديث سياقاً "رقعياً" بل سياقاً موضوعياً يتجلى من خلاله دور العقل كمفسر لبوحي ومنمّم له. كما نرى من خلاله المسئولية التي يحملها الله العقل بهذه المثابة وهذا الاعتبار.

من حسي في عفتك العيب، سطر "المراد" وكأنه يعاتب "العقل" في لهجة حادة لأنه لا يدل الجهد لك في اكتشاف الوجود الإلهي، عن طريق ما شه الخالق سبحانه من آيات في السماوات وفي الأرض.

ويستحث المراد العقل الإنساني كي يمارس دوره كرهان علي الله، وكدليل للإيمان صارياً له المثل بأبي الأبناء سيدنا "إبراهيم" عليه السلام الذي تركه الله بديء الأمر ليكتشف وجوده بعقله

﴿ فَلَمَّ حَرَّ عَيْنَهُ نَبِيلُ رءَا كَوْنَكُمْ قَالِ هَذَا بَنِيَّ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۚ فَلَمَّا رءَا لَقَمَرٍ بَارِعًا قَالِ هَذَا بَنِيَّ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَيْسَ بَنِيَّ لِأَكُوسُ مِنْ آفَقَوْمٍ لَصَائِبِينَ ۚ فَلَمَّا رءَا الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالِ هَذَا بَنِيَّ هَذَا أَكْزَرُ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ بِقَوْمٍ بَرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۚ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ الشُّمُوتِ وَالْأَرْضِ حَيْفًا ۚ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩]

وهكذا قام عقل الخليل "إبراهيم" وفهمه وفكره معام الوحي، فبدأ عن طريق لعقل تعرفه إلى الله وإيمانه بحتميه وجوده . وحمل الله سبحانه مسلك "إبراهيم" هذا حجة على الذين يتقاصر عقولهم عن إدراك حقيقة الوجود الإلهي، فقال سبحانه ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا إِنْتِهَاءَ بُرْهَانِنَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وهكذا هب العقل الطريق للوحي.

وحين تنتع بعض الآيات الكريمة التي تسنحت العقل وتحمسه، تكشف ب الأهمية التي صورها له القرآن العظيم.

"والآية التي تقول: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَةَ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢] تعني أن الله سبحانه يرينا آياته لعقلها أولا. وبهذا التعامل يحى الإيمان".

أي أن العقل هب يشارك الوحي كمصدر له ومتمم فإذا كان "الوحي" يترن سيدعونا إلى الإيمان فإن العقل يملك الإيلاء الأولى لهذا الإيمان

والآية التي تقول ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] تفيد أن الوصايا التي جاء بها "الوحي" تنتظر "العقل" الذي يحولها بفهمه إلى عقيدة وسلوك كما ينتظرها العقل كيما يستصحبها في طريقه الرحب المستقيم

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] لم يقل: لعلمكم تهتدون، لأن العقل أولا. ثم الهداية ثانيا

وإذا كان الس يهتدون بالوحي فهم مطالبون كذلك أن يهتدوا بالعقل وقوله سبحانه حكية عن حليبه "إبراهيم" عليه السلام ﴿أَفَلَا لَكُمُ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَلَا مَعْقُولَ﴾ [الأنبياء: ٦٧] فإذا كان من مهام الوحي رحر المشركين عن

عبادة غير الله. فبه - أي الوحي - يعتمد علي العقل في تجهيل هذه العبادة المشرفة والصالة والتي توحه بها المشرك إلي من لا يستحقها ولا هو أهل لها.

وكأنها يقول "القرآن" لهم من غير وحي يكشف لكم سوء ما تررون فإن العقل الذي منحكم الله إياه لتمييزه الخبيث من الطيب والريف من الصدق كاف لإقناعكم بفساد وبصلال ما تصنعون.

والآية الكريمة القائلة: ﴿اتَّخِذُوا هَٰهُنَا وَلِئِمَّا دَلَّتْ أَبْهَمَ قَوْمًا لَا يَعْقِلُونَ ۚ﴾ [المائدة: ٥٨] لعله كان من المتوقع أن تقول الآية الكريمة، "قوم لا يؤمنون" ولكنها أثرت تعليل حطيتهم بعباد "العقل" وليس بعباد "الوحي" إشارة مبينة منها إلي أن العقل متمم للوحي

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ وما داموا لم يفقهوا، فهم لم يؤمنوا أي أن الآية الكريمة تنبأ أن الله العزيز الحكيم حين أراد عفاهم حرّمهم نعمه العقل والفقه وحرمانهم من هذه النعمة يعني حرمانهم من نعمة الإيمان.

وقول رسا سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ شَيْئًا لِّسَانٍ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ﴾ [النحل: ٤٤] .

عظيم أمر هذه الآية فيها ذكر أنزل الله علي رسول اصطفاه الله ليس للسان هذا الذي أنزل لكي يؤمنوا فإذا الآية تقول لكي يتفكروا إذن فالتفكير أولا وبعده يحىء الإيمان

أماك دلالة علي تمازج العقل بالوحي في هداية الشر مثل ما تمسحها هذه الآيات من دلالات؟!

وبعد، سيكون جهلاً فاصحاً، وسوء طر أنيم إذا حرح قارئ- أي قارئ هذه الكلمات بحكم عني يقول. ها إتكار للوحي أو تحميم لدوره

وهذا القارئ- إن وحد- أقول لا بل ها تقديس للوحي، وإحلال للعقل الذي يوأه الله هذه المكانة وأنزل هذا المنزل.

وهذا دعوة للمسلمين جميعاً أن يبادوا العقل ليأخذ دوره في ترسيخ الإيمان وارتداد الطريق، طريق المعرفة، والتقدم والارتقاء.

أيها السادة لا تتألوا على الله

الكجاج الشقي كما تعرفون كان فظا عليظ القلب منوحش الصمير

أكل مسمه من لحوم صحباياه حتى شحم وشرب من دماينهم حتى عص
وفي حوارته مع آخر صحباياه يلمح روية من إفراطه الخسيس والأثيم في الفسوة والنوحش
والسعار

استوقف أممه "سعيد بن جبير" رضي الله عنه وسأله

- ما اسمك؟

- قال: سعيد بن جبير

- قال له: بل أنت شقي بن كسير

- أجابه: أمي أعلم باسمي منك

عاد يسأله ما رأيك في "علي بن أبي طالب" في الحجة هو أم في النار؟

- قال سعيد: لم أدخل أيا منهما بعد، حتى أعرف من هناك.

- قال: بأي طريقة تحب أن تقتل؟

- أحده: بالطريقة التي تحبها لنفسك فإن الله لن يدعك تفعل.

سأله الحجاج هل لك حاجة قبل أن يطرح السيف برأسك العبيد؟

- قال نعم، هي حاجة إلى الله. ثم رفع يديه إلى السماء وقال اللهم لا تمككه من أحد

بعدي... اللهم اجعلني آخر قتلاه.

واستجاب الله دعاء عبده الصالح. فما هي إلا أيام حتى رعد الطاعية تحت وطأة مرص

وبيل

كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول:

"لو خأت كل أمه بخطاياها وحاء سو أمية بالحجاج وحده لرححوها جميعاً"

سقط الحجاج عبداً دليلاً فاقد الحول مهووك الطول أحداً مكانه بين العجزة الذين قال الله

عهم: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾

[الحج: ٧٣]

وعلي فراشه المتعطر بجرائمه، المستحير من جواره راح يذكر من عاش عمره الوبي.

يسأله راح يذكر الله فحملق بعينه الرائع إلى أعلي وسط كفيه وقال اللهم اغفر لي، فإهم

يقولون: لن تغفر لي.

حتى في كلماته الأخيرة ومباحاته الشكلى كان مأكراً وحيثاً

لكأنه أراد أن يستمر رحمة الله يؤلبها علي الدين يتألون عليه - مسحاه - قائلين: من يعمر

الله له

ولابد أن أخيب الداهية كان يعرف تلك الأحاديث السوية الكريمة التي يهي فيها

لرسول عليه السلام عن الثألي علي الله والتحكم في رحمته فقال ما قال. اغفر لي، فإهم

يقولون: لن تغفر لي.

لذلك لم يكذ "الحسن الصري" رضي الله عنه يلمعه هذا الدعاء حتى قال والأسف يكسو

كلماته أو قد قالها؟

قلوا: نعم.

قل: والله إنني لأحشي أن يغفر الله له بها.

في هذا النبأ عظة، كلها تأملها وربحها.

فاحجج لا ترشح حرائمه لعبه جهنم ومن ذلك مردا كن من حقنا أن يديه وسدين
مطله وحرثه فليس من حقنا أن يصدر من حاسا قرارا بإدخاله النار فذلك حق الله
وحده لا يقس من عدد أي ما تكن مكاته ومرثته أن يشاركه فيه

إنت تستطيع أن تقول المحرمون في النار ولكن ليس من حمتك أن تقول عن محرم بداته
هو في النار ولو نادى مع الله على الأقل ومن يفعل ذلك يواقع إثم "أسألي" علي الله وهو إثم
سبي الرسول عنه وحذر منه.

وبصرت الرسول الكريم هذه الخطيئة مثلاً ير حره الناس عنها فيقول كان فيمن قبلكم
أحوال أحدهما بطيع الله ويعبده والآخر يعصيه وكان العابد يدعو أحياه إلى طاعة الله كثير
ويرحره عن عصائه وهو لا يستحب له وفي يوم بلغ الناس من أخيه مدعه فقال له والله
يبدحك الله لنار ولما منا جمعهم الله من يديه وسأل النبي كن يعصيه ما حدث علي
معصني؟ فأمسك الخياء لسانه ولم يدر ما يقول ثم سأل انظن العابد ما الذي حدث علي
أن تتألي علي؟

أشركت معي في رحي وعدي؟ ثم قال فلانكته اذهبوا بهدا إلى اخيه ثم أشرك للطنع
لدي تألي عليه وأراد أن يجعل من نفسه وصيا علي رحمة الله وعلي عقابه وحدو هذا إلى نار
هو كمن قنا مثل مبيع يصره الرسول للناس لعلهم يتذكرون فأبدن يذهبون أو شك الدين
يتأبون عي رهم ويصدرون "المرماد" بالرح في النار من يشاءون

هناك من الوعظ والندعة والمستولين الدبيين من تسارع ألسنتهم في تكفير من لا يوافق
هواهم من المسلمين ويرشحونهم للنار التي لا يملكون من أقفاها مفتاحا ولا نصف مفتاح
فماذا عليهم لو تواضعوا أمام الكبير المتعال

ومادا عليهم لو تأسوا برسولهم العظيم الذي كن بشر رحمة ومرفاً آمن ويسم حراح

أفأنت تكره الناس ؟

من أحل عطايا الله للداعية، أن يعدعه "العرور الديني" وأعني به ذلك الرهوسا
 اهتدى إليه من طاعة، وبما آناه الله من علم، رهوا يجعله تياهاً محتالاً أو مترمناً عصوباً بصيق
 بأخطاء لأخرين صدره ويتعالى على أقدارهم قدره من ثم لا يراه كما يسعى أن يرى،
 متراحب الصدر، شفاف الصدر، ريان الشاعر، موطأ الأكناف .!!

وحيث يفقد السكية - تحت وطأة هذا الشامخ - يمهده الناس كداعية مهذب ومسوي
 إذ يفقدون فيه أسهى حصال الداعية، وهي أن يكون بالمؤمنين رءوفاً رحيماً
 إلا إنها لا يستويان مثلاً الداعية الذي يتحول المسلم بحبانه الرقراق إلى متهدل شكور
 ، والأحر الذي يتحول المسلم بنحيمه وقظاظته إلى ينوس كصور أحل لا يستويان مثلاً،
 فالأول أحد حظه الموهور من ميراث السوء والثاني أحاطت به حظيته حين أسدم نفسه
 للعرور والعلواء ..!!

وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ أقمس يمشي مكثاً على وخبه ، أهديئ "ممن يمشي سوي" على
 صراط مستقيم ﴾ ؟ [الملك : ٢٢]

كم تهرى هذه الآية الكريمة ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]

وكم يشحى ما فيها من حسم وعزم وأسأل سمي ترى ما فعل لرسول العظيم حتى يتلقى عتاب الله على هذه الصورة؟؟

إنه لم يتحرش قط بصائر الناس، ولم يحملهم أنداً على ما ليسوا به مؤمنين بل - على العكس - كان يجمع نفسه أسفاً وحرماً على الدين يمر بهم موكب الهدى والورع، ثم يولون عنه معرضين.

كان يأسى عليهم في أسف عميق، وفي حنان رطيب حتى ناداه ربه من فوق عرشه المجيد ﴿ فَلَعَلَّكَ نَجَعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَشْرَهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف ٦٠] ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [المل ٧٠] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمْسَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٩٩] هكذا أدبه ربه وهكذا أدب أساءه ورسله جميعاً كدهم كان يقول فائدهم لقومه الصاعين " ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ رِجْمَةً مِنْ عِنْدِي فَفَعَيْتُ عَلَيْهِمْ أَنْ تَرْمِيَهُمْ وَأَتَمَّهَا كِرْهُونَ ﴾ [هود ٢٨]

يا ليت كل داع إلى الله يستحضر حين يعظ الناس، وحين يأمر بمعروف، ويهي عن منكر أقول بينه آنند يستحضر هذه الكلمات المصاة سور الله سبحانه وتعالى هذه الكلمات العادلة والذرة ﴿ أَنْتَرْمِكُمُوهَا وَتُتَمَّهَا كِرْهُونَ ﴾ [هود ٢٨]!!

عندئذ، سيتطامس عروره، وتستكين شدته وحدته، ويسعه ما وسع أسياء الله والمرسلين وإكراه الناس لا يتدى في صورة واحدة، هي استخدام القوة لإبحار هذا الإكراه بل له صور شتى، ومظاهر كثر.

وبالنسبة للدعاة بالذات، حسه - أي الإكراه - أن تمثل في مشاعر باعصة، وكلمات منحمة وبوجهات صارمة وموثقة أين هذا الأسلوب المهر من صيغة الله الذي أوصى

سبه داود قائلا: «يا داود بشر بي عادي، فإني أحب أن يقولوا عمور رحيم»؟؟؟

كم من الوعاظ والدعاة من يشد المسلم الطامئ إلى اهتدى رحاله إليهم حتى إذا سمعهم وراهم، بكرهم، وأوجس منهم حيفة...!!

ذلك أن الواحد منهم يحمل في داخل نفسه عاصفة مكبوتة، تتعلت منها بين الحين والآخر شظايا معيطة، وحائقة، ولوامة...!!

وبعض مائمة الإكراه، بالنسبة لهذا النوع المنحهم من الدعاة، لا تتمثل في شيء كما تتمثل في التشدد الذي لا يعرف المشى هوماً وفي التطمع الذي قال الرسول عن دونه: «هلت المتطعمون»...!!!

أعرف من هؤلاء نورا، إنهم أكثر من نعيمهم، لهم باع عريض، ومقدرة هائلة على نصير الناس من كل ما هو حق وخير وفاصل نحس وأحدهم بكلمك ويدعوك، أنه رحل شرطه، أو وكل بيانه يتلو عليك قرار انهام "!!!" ويعاملوك كأنه عليهم بذات الصدور.. يحدد لك طريقا واحدا، هو طريقه، ويلزمك رأيا واحدا، هو رأيه ويظن بالناس طن السوء، فيجاهل دوماً قصبتهم، ويركر على نقاصهم مشعاً بهذا من حث يدري أو من حيث لا يدري - إحساسه الخادع بالتعوق على عماد الله الذين لا يستجيبون لأمره، ولا يسبحون بحمده!!

فليدرك وعظه ودعوات أن كل تشدد إكراه. لأنه بأي بالإسكان عن المنهج الذي جعله الله يسراً لا عسراً وبالتالي، فهو تكليف بما لا يطاق، ودعوة للإسقاط والإحباط!!

وليتهجر هذا النوع من الدعاة كل تعاطف على الناس وكل إرداء للحظتين الذين ينتظرهم الله برحمته. وكل تشدد يهلك حاجتهم إلى سكية النفس وطمانية الصمير!!

وليرددوا مع المكسرين والمتواضعين: سبحان ذي الجبروت والمملكوت... والكريم والعظمة.

اللهم اسقنا الغيث

عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ صَلَاةٌ رِيبًا وَسَلَامُهُ وَحَيْرٌ مَا عِلْمُهَا أَنْ تَقِفَ دَائِمًا بِأَنْبَاءِ اللَّهِ
سُحْبَانَهُ وَأَلَّا تَنْحُثَ حِينَ نَظَلَّ النَّصْرَةُ عَنْ بَصِيرٍ سِوَاهُ، لِأَنَّهُ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مَدْجًا وَلَا
مُلْتَحِدًا

وكان قدوةً لأصحابه وقدوة المسلمين جميعاً في الاتصال بالناسك والدائم بالله
لا يعلم لحظة عن ذكر ربه وكيف يفعل وهو يراه في كل شيء في الشمس الساطعة في
لستة البطالعة في انظر اهدطل في الداربات دروا في الحمامات وقرأ . والحريات يسرا
في الشمس وصحاه والقمر إذا تلاها في الليل إذا يعيش والنهار إذا تجلى في
السهم وما ساهها والأرض وما طحها ومن وما سواها في المرسلات عرف في
العاصفات عصما .. والباشرات بشرا

ثم في الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى، فجعله غداً أحوى
كيف يعلم عن ربه وحالقه، من تام عياه، ولا يسام قلبه^{٩٩} ومن بيت عذر ربه بطعمه

(*) "المسلمون" المجلد الثامن - السبث ٩-١٥ رجب ١٤٠٥ هـ / ٣٠ مارس - ٥ أبريل ١٩٨٥

ويسقيه ١١٩٩ ولأنه كذلك ولأنه الرحمة المهداة من الله العلي الكبير لعباده، فقد كان كما وصفه ربه الأعلى: ﴿ غَيْرُ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٢٠ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وهذه المثابة روح يأخذ إلى الله أحدا رفقاً، ويقف بها أمام أبواب رحمته روح - عبده السلام - يعلم ما متى، وكيف يدعو وساحبه أما متى في كل حين وأن لا سيما إذا مسنا الضر، ونزل بالناس ما لا طاقة لهم به..

وأما كيف فنصرنا وحمية، وحنونا وطمعاً ونعمة وأمثال ١١ ومن ذلك نصر لذي عسك للحوء إلى الله في كنفه، الحذب والقحط اللذان يمسكان اليوم بحاق الناس حيث تنكس كل تلال حث الموتى من قتل الجوع - أطفالاً، ورصعاً وساءاً، وشباباً، وشيوخاً ١١ بلاد، فهي أهلها بحهم وبلاد تنتظر ولا ملحاً من الله إلا إليه ١١

في مثل هذا النصر، وتلك القوارع والقواجم يدعوها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تقرب من باب الله أكثر، وأكثر وأن يصرخ بالدعاء ومسعيث قرب الأرض والسماء مرددين معه، وفثلين وراءه " اللهم اسقنا عثا معيثا، مريعا، عذقا، سحدا، دائيا "

«اللهم اسقنا العيث ولا تجعلنا من القانطين»

«اللهم إننا نبعث، والبلاد، واليهائم، والخلق من النداء، والجهد، والنصت، ما لا شكوه إلا إليث ..

«اللهم أنت لنا اسرع وأدر لنا الصرع واسقنا من بركات السماء وأنت رب من بركات الأرض ..

«اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري، واكشف عنا من اللأ ما لا يكشفه غيرك

« اللهم إنا نستعصرك، إنك كنت عماراً، فأرسل السماء عيب مدراراً »

هكذا كان يقف الرسول وصحبه أما باب الله الخواد الكريم، كلها حجت السماء عثها، وأرحاب عوثها فستقل القيلة في المصل والمسلمون وراءه والكل مسدد، حاشع،

موسى متصرع ومعاناً في الحرد والتدلل للفرير المجيد، حول الرسول رداء، فيجعل يمينه يساره، ويساره يمينه، وطهره لطفه، وطفه لظهره ثم يأخذ في الانهال والدعاء ثم يصلي ركعتين بلا أدان ولا إقامة يجهر فيها بالقراءة وهذه هي «صلاة لاستسقاء»

موقف من المواقف التي يحشد الرسول فيها بين يدي الله من يصيبهم صر الحذب، وكثرة القحط وإن ما يعنيه ملايين المسلمين، بل وغير المسلمين في أفريقيا اليوم، حقيق بأن يخرج المسلمون وراء أئمتهم في كل صفح وفي كل بلد. يجأرون بالشكوى إلى الله، ويتلمسون في مدلة وصراعة أسباب رحمته وعافيته - لا مرة واحدة بل مرات ومرات

وعلى الحكومات والجمعيات والأفراد أن يسطوا أيديهم بما أفاء الله عليهم من نعمة وثناء إلى أولئك الذين يتساقطون موتى تحت صرعات الخروع والصياغ وهذا نداء للذين هم لربهم يرهون.



الرأي والهوى

لم يلق الأنبياء والمرسلون، ولا الهداة والمصلحون من المشقة والعنت، مثلاً لموا من أصحاب الهوى وذويه!!

ذلك أن الهوى لا يعرف المظن، ولا يأنه بالحقيقة، ولا يصعق لرهان يسير بوسل المرسلين والمصلحين لإبلاغ دعوته بالمظن، وبالحقيقة، وبالبرهان

وأهل الهوى كالثبيق لا يستقرون على أمر، ولا يشتون على رشد . فأهواؤهم المتقسة دوماً، والمتواترة أئداء تجعلهم في حركة رحراحة يتقافرون كالقروود!! ليس لهم رأي ولا اقتنع - تقلبهم أهواؤهم ذات اليمين وذات الشمال. فيمسون على هوى، ويصيحون على هوى آخر. تقودهم أهواءهم كي تقود عصي الرعاة الأعمام والخنازير!!

ووجود الهوى مؤشر صادق على وجود نفس حيثة، وقلب مريض!! وإذا استحوذت هذه النفس، وهذا القلب على إنسان، فإنه يسمى ربه، فيسميه الله نفسه ﴿تَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر ١٩] .

ومن السلاء وللبلاء علامة ألا يرى لك عن هواك سزوع
 المعد عند النفس في شهواتها والخسر يشمع نارة ويجوع !!
 وحقيقته الهوى لا تدفعنا إلى الذنوب التي نحيا العادة محسب بل تدفع إلى كل ما يسوء
 أهوى ويريد. في شئون الدنيا، وطريق الدين..

وما أصدق وأصدق "ابن القيم" رضي الله عنه، إذ يقول "إن الهوى ما حاطت شيئاً إلا
 أضده وإن وقع في - العلم - أحرجه إلى البدعة والصلاة وإن وقع في - الرهد - أحرح
 صاحبه إلى لرباء، ومخالفة السنة وإن وقع في - الحكم - أحرح صاحبه إلى الظلم، وصدده
 عن الحق وإن وقع في - القسمة - حرجب عن قسمة العدل، إلى قسمة الحور وإن وقع في
 لولايه والعزل - أحرح صاحبه إلى حبائه الله والمسلمين حيث يولى هواه، ويعزل هواه. وإن وقع
 في العادة، حرجت عن أن تكون طاعة وقرنه وهكذا، ما حاطت الهوى شيئاً إلى أضده .. !!

إذن، فهي الدنيا كما في الدين وفي السياسة كما في العادة تصل أهوى ويردى - وينص
 بالأيدي إلى التهلكة والويل !!

وحين نجد لصدود عن الحق، فاعلم أن الهوى هناك !! من أجل ذلك فتح الله سبحانه
 بصيرة رسوله على هذه الحقيقة، فقال له ﴿وَمَنْ أَذْبَحْ حَيَاتُكَ فَاعْتَمِدْ نَمَّا يَشْعُورُ
 هُوَ هُمْ﴾ [الفصل ٥٠] وحده وهو المعصوم، فقال ﴿وَلَيْسَ أَتَغْتَفِرُ هُمْ بَعْدَ
 لَبِي حَاجَكَ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلٍ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الأنقرة ١٢٠]. ووصاه قائلاً ﴿
 وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَعْطَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا﴾ [الكهف، ٢٨]

ولا نصاب الأمم بشر ما يعرفها إلا حين يسود الهوى ويعيب الرأي !! وإذا وصفا
 "الرأي" مقابل "الهوى" فإنا نعي ذلك الاقتناع الذي يستمسك صاحبه بعراه بعد درس
 وتحجيص وانتقاء وهذا هو "الرأي" كما يراه الإسلام فلطالما كان الرسول - عليه السلام -
 - وكان حلقاؤه - رضي الله عنهم - يقولون للناس ما تاترون ٩٩ وكان الإمام "أبو حنيفة"
 رضي الله عنه يقول "ففيها هذا رأي فمن جاءنا بأحسن منه فليأه" وهو يعني - ضحا -
 اجتهداته واستساطاته فيما لم يحكم به من صريح

إن الآراء انبازعة من عقول رشيدة، لا الأهواء الرائعة - هي التي تصع احكامم والشعب، كما تصع كل قوى لمجتمع على طريق العصيلة والحق. وإذا رأيت أمة يكس فيها الرأي، فاعلم أن الهوى بها يهر من باطل وصلال قد شاد بيانه، وبسط سلطانه !

وحياة الأمة - أمة - مرهونة سلامتها، ومرهون مصيرها بكثرة ما تمتلك من آراء بريه صدقة، وبحظها الأوقى من أحرار القلوب، الذين لهم أعين يصرون بها، وأذان يسمعون بها، وعقول يفقهون بها، وبالتالي فإن لهم آراء يسهمون بها في هداية حكهم إلى الحق، وتسوير شعورهم في كل قضايا الحياة - سياسية، واقتصادية واجتماعية

والمسلم حماء، هو من يكون له رأي لا يكفه، واقناع لا يلجمه !!

قد هياؤك لأمر لو قطبت له قارباً بنفسك أن ترعى مع الغميل

والحاكم الخفيف والرشيذ بحق، هو من سمى في شعبه سلطان الرأي، ويرفض اتفاق الهوى وصلاله

يقول شيخنا الخليل "اس القيم" "هناك حاكمان حاكم العقل، وحاكم الدين فمن حاكم أمامها هواه، فقد نجح وفار !!"

ما أشد حاجة شعورنا المسلمة إلى أن نكون لها رأي وأن يكون لهذا الرأي ما يستحق من توفير واحترام !!..

حتى متى، نعيش بقرة حلوبا ؟!

الذين حباهم الله بقول كتتم حير أمة أخرجت لناس^{١١} والذين اصطفاهم بكونهم

شهداء على الناس^{١٢} والذين مسحهم حير رسله وأفضل خلقه

هؤلاء - وأسماء على هؤلاء - تارلوا مختارين تارة، ومعلوبين تارة أخرى، عن الحكمة التي
بوأهم الله إياهم وطلوا يتهاوون، ويسقطون ظلوا يعطون الله في دينهم وديانهم طلبوا
يتقلبون بين الأطماع والآهنة والمخاوف الكاذبة حتى تحولوا إلى "بقرة حلوب" نكل ماهر في -
فرقة - السوط وامتطاء الظهور...!!!

نرى، هل يصدق أنفسهم حين يزعم أن انته ما هذه الأمة التي يعتنها الله بأب "حير أمة"
اشيء حقيقي لا مزية فيه ؟؟ أم يصدق من له العرة جميعا حيث يقول - سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ
وَلِرُسُوهِمْ وَلِنُفُوسِهِمْ﴾ ١٩ [المافقون ٨] ألا إن الصادق هو الله، وبحر الكادون!!!
إن علب أن يختار بين من بيده ملكوت كل شيء والأحرين الذين لا يملكون - حتى
لأنفسهم - ضرراً ولا نفعاً..

أحرر إيمانهم إلى جانب الله، فخطبوا سماءات عرء، ويرسلنا سراديل محدد،
ويصرب عينا سرادقات حططه وإما ان يلتمس ذلك كله - العرة، والمحدد، والخط - من
الذين يتربصون بالدوائر، ويودون لنا سوء القلب، وسوء المصير !!!

و.لاختيار لأول يعني أن يكون مؤمن، يحترم الحق، ويحتقر الباطل، يقدم لواحد
على لمعة وصالح الجماعة، على أطباع العرد ويحشى الله أكثر مما يحشى أعداءه
والصاغنين على دبه وعلى حملة هذا الدين..

وأما الاختيار الثاني، فبمعنى عكس ذلك تماماً^{١١} ومكلمة واحدة، يعني أن نتبع غير سبيل
المؤمنين

أما أن يتورع ولا يؤا للثنيين معاً، ونعرق بينهما، فالتد يقول الله لنا "أما أعنى الشركاء عن
الشرك اذهبوا، فلتمسوا الآخر ممن أشرككم معي" ^{١٢}

كان واحد من أسلافنا يطوف بالكعبة ذات يوم، فرأى بين الطائفتين والطائفت امرأة يشع
مجاها بالحبال والهاء، فاقترب منها وأشد

أهوى هوى الدين، واللذات تمحى فكيف لي هوى اللذات والسدين
فأجنته السيدة الورعة - دع أحدهما، تل الآخر !!!

وكأنه - ناديا بحكمها البالغة هذه - نحن مدعوون إلى أن نأخذ شيئاً وبدع شيئاً

فأي الشئين بأحد ويختار؟؟

إن رب العلي العظيم يعطينا الجواب إذ يقول ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ ﴾
[الأنعام ١٩] وحين يقول ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ ﴾ [الرعد ١٤]
[١٤] حين يختار الله تكون العرة من نصيبنا ومن حقنا - وحين نحدد أنفسنا عرأة منها، فذلك
يعني - في نفس اللحظة، ولمسنا - أن اختيارنا هذا كاذب ومدحون ^{١١}

أليس هذا، هو شأننا اليوم؟؟

ألم نترك الله إلى دينا نلهث فيها كالكلاب؟؟

ألم يتحد بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله - ثم اتحدنا جميعاً من أعدائنا والمنكاسين عليه
أولئك الأرباب؟؟

لقد تحولت بكل دولنا، وشعوبنا، وأرضنا، وحيرتنا إلى "بقرة حلوت" ولن ؟؟ لأعداء الله وأعدائنا إن الدين هرقوا دينهم بالأمس وكانوا شيعة أصاعوا "الاندلس" رهرة العالم الإسلامي يومئذ، ولؤلؤته الفريدة والمجيدة...!!

وابيوم، ونفس السبب توشك كثرة من بلاد المسلمين أن تتحول إلى "اندلسات" أخرى ضائعة ومصيبة!!

ما هذا انتهاك الدليل على أولئك الذين يريدون أن يطعنوا نور الله والدين يعاملوننا كما لو كنا سوائم ورثوها - بين ما ورثوها - من مراعي آثامهم، وحطائر أمهاتهم . ١٢٢٢
أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه
أتستعون عندهم العرة ؟ فإن العرة لله جميعا .

يقولون إن ألف مليون مسلم . لقد تحولت الأرقام ما وهبا وعلى أيدينا إلى أكاديب، بعد أن كانت القاعدة الشهيرة والعجيبة تقول الأرقام لا تكذب!!

لقد تنملت إليها ما عدوى الكذب يا رجال !! إلا إذا كانت الأرقام تعني أن ألف مليون "فقعة" تائهة في عتاء السبل الذي تنأ به الرسول !!

عودة إلى الله أيها الناس، لعلكم تفلحون عودة إلى القوة إلى العرة إلى التحدي والمنقومة إلى الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد

ودروا الدين، تحذوكم وديكم وحقوقكم هروا ولما من أولئك الذين يعرفون - إسرائيل - بأرضكم، وبعرصكم . وأولئك الذين يسعون أنسل الدماء وأركاها في أفعانست - في نوحش وسعار!!

صعوا في يمين الله أيهاكم، حكاماً وأما وأعرصوا عن أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم.

أعرصوا عنهم بهم رحمتهم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وبادوا الله في صراعة ﴿رُسُلًا وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَعِدُّنَا عَلَىٰ رُسُلِهِمْ﴾ [آل عمران ١٩٤]

مسيانيكم جوابه أسرع من الضوء: ﴿إِنْ نَضْرَ اللَّهُ فَرِيتَ﴾ [البقرة: ٢١٤]

لا تخافوا فالله هناك...!!

أقرب ما أكون من ربي، وأعدت لحظات إحسامي معظمته وبحلاله، حين أراه وهو

ينسم !!..

وتنشى روعي بعظه ندية حين يطوف بحاطري أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام
التي يقول فيها بصحح ربكم من كذا أو صحح ربكم من كذا

وأقول لنفسي: هيتأ لنا برينا الضحك الودود...!!

إن ذا الحلال والإكرام - يا رحال - يدعونا لأن نسكن إليه، وتطمش قلوب به، وفتح
أفئدت لتلقى من يمينه البرة الخاية - وكلنا يديه يمين - سكينته، ورحمته، ورصاف
حنانه !!..

وهو لا يحب أن تتصوره متجهها وعاسا، ومن أحل ذلك قال فيها يرويه عنه رسوله
لكريم «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله»

ومن قل قل في مرآة العظيم ﴿لَا تَقْطُوعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الرعر: ٥٣] وقال ﴿إِنَّهُ لَا

يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لَا تَقُومُ، تَكْفُرُونَ ۖ " [يوسف ٨٧]

وما أعدت وأسى تلك الكلمات التي وصى بها حكيم الله فقال "يا سي، إذا أهدت أمر عدت، فلا تحف بالله هاك" وإذا بوحشت صرا، فلا تصرع، وقل لنفسك الله هاك!! إذا تعشت أهوال يوم القيامة، فلا سلم نفسك للحرع، وقل يا الله هاك "

أجل الله هاك!! ما أروعها، وما أبدها، وما أجمعها من كلمات وفي حديث عظيم أخرج الإمام أحمد في مسنده، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

"ما من يوم تطلع شمسك إلا وتقول السباء يارب دعني أساقط كسفا على ابن آدم، فقد أكل خيرك ومنع شكرك.....!!"

وتقول الأرض يارب، دعني أنحسف بان آدم، فقد أكل خيرك، ومنع شكرك !!

وتقول الخيال يارب دعني أطق على ابن آدم، فقد أكل خيرك، ومنع شكرك "

وتقول البحار يارب دعني أعرق ابن آدم، فقد أكل خيرك، ومنع شكرك "

فيقول الله سبحانه لها لو خلقتموه، لرحمتموه !! ادعوني وعبادي إن تابوا إلي فأنا حييهم .. وإن لم يتوبوا، فأنا طيبهم " .

أرأيتم روحه تصور رحمة الله وحانه، أروع من هذه التي تصور فيها الرسول هذه الرحمة وهذا الحب؟؟!!

كم هي مشجبة، ومكبة ومرحة هذه الكلمات «لو خلقتموه، لرحمتموه» "

للهم لا تحصي ثناء عليك ولا تظمن إلامك وإليك يا رحمن الدب ولا حرة ورحيمهما اجعلنا حذيرين بالعبودية لك، والاسماء إليث "

إن إدراك العبد لعظمة الرب لا يكتمل إلا إذا تحقق من سمو رحمة، كي يتحقق من حرم عدله

وإذا احتل المبرور في وعيد، أجل الإيمان معه فكأن كما يريد الله لك أن تكون واعرفه

الحقيقة التي يجب أن يعرف بها.. وقل مع القائل:

إن حل دنسي عن الغفران لي أمل في الله يجماني في خير معصم
القيسي رجائي إذا عر المحير علي مفرح الكرب في الدارين ولعمم
عند أريد الله - سبحانه وتعالى - أن يمر على الرسول وصحه، ويذكرهم بأعظم آلائه،
وأرعد بعمه قل «هُوَ الَّذِي أُسْرِلَ السَّكِينَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» [الفتح ٤] «السكينة التي
تجعل الإنسان ريان لنفس، منهل الروح، لا يجدها إلا من يعرف الله الرحيم، أكثر من يعرف
الله المنتقم» .. !!

«داود شر بي عبادي، فإني أحب أن يقولوا عفو رحيم» !!

ومن يمتلك «سكينة النفس» فقد دست منه كل قطوف الحياة

وقد بينا قال فيلسوف صيني "يا رب صم مبادح الحياة الدنيا كلها تحت أقدام الحمقى
وأعطي سكينة النفس..!!

والآن، لا تيأسوا، ولا تتسوا، ولا تخافوا، فإله هناك !!.



المبشرون بالجنة

عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أبو بكر في الجنة.. وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة. ثم سكنت راوي الحديث "سعيد بن زيد" عن العاشر، فقالوا من العاشر؟ فقال "سعيد بن زيد" !!

هذا حديث ينقله لنا الإمامان الحليان - أسوداود، والترمذي عن الصحابي الحليل "سعيد بن زيد" رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين
يبد أن للحديث بقية، فلنطالعها..

يقول "سعيد" والله لمشهد رحل معهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف فيه وجهه، خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح !!!

أولئك آياتي فحتني بمثلهم إذا جمعنا يا جبريل المحامع !

أولئك العشرة الذين بشرهم الصادق الأمين بالخلة درة في تاج كبير وأثير !!

هؤلاء وإخوانهم من الأصحاب، هم آباؤنا يا رجال !!

وإنهم - عبر التاريخ - كله لخير الآباء.

نرى لماذا اختص الرسول بشراء هؤلاء العشرة وحدهم ؟؟

الحق أن هناك غيرهم من ظفر وفاز..

فجعفر بن أبي طالب مثلاً، لم يشتر بالخلة فحسب، بل دخلها فعلاً، وأحمر الرسول عليه

السلام أنه رآه بعد استشهاده - يطير في الجنة بحماحيه - ومن أجل ذلك لقب بـ "دي

الختاحي" !!

"رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة" ..

هكذا قال خير المرسلين

و"ثابت بن قيس" قال له الرسول : إنك من أهل الجنة .

و "حارثة بن سراقة" - استشهد يوم بدر فأسرعت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم،

وقالت يا نبي الله حدثني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت - وإن كان غير ذلك،

اجتهدت عليه في البكاء - فأحاطها الرسول قائلاً "يا أم حارثة إنها حان، لاجنة واحدة، وإن

است أصاب الفردوس الأعلى" !!!

و"عبدالله بن سلام" الذي برز فيه قوله الله سبحانه ﴿ وشهد شاهد من بني بشر، بل على

مثله. ﴾ [لأحزاب ١٠] بحرمنا - سعد بن أبي وقاص - فيما يرويه عنه الشيخان، أنه

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : إنك من أهل الجنة .

ألا إن أصحابه جميعاً من أهل الجنة إن شاء الله - أولئك الذين صبروا، وصاروا،

وربطوا - وأولئك الذين أوصانا الرسول الكريم بتوفيرهم وإجلالهم قائلاً:

" الله الله في أصحابي - فالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما ملغ مد

أحدهم ولا يصفيه". !!

ولكن لدا - مرة أخرى - حظى هؤلاء العشرة بهذا التكريم الخاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟

جعل جمعهم في حديث واحد، وفي جلسة واحدة يمسحاً ومصة من تفسير
إدريس كانوا يشتركون في مربية عرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسما حبيت على
الأخريين.

وإن لاحظ أن العشرة جميعاً كانوا موضع حفاوة وتقدير خاصين بيد أمهم - اختصاراً
ولتقدير - لم يحرم منهم الكثير الكائن من أصحابه الكرام

عن "أبي بكر" يقول الرسول : ما فصلكم أبو بكر كثير صلاة، ولا كثير صيام، إنما
فصلكم شيء، وقر في صدره !!

ويقول ما عرصت الإسلام على أحد إلا كانت له كسوة إلا أنا بكر، فإنه لم يتلعثم، ولو
كنت متحداً خليلاً، لا اتخذت أباً بكر خليلاً..!!

وعن "عمر" يقول إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه !!

وعن "عثمان" قال عليه السلام حين رآه يحمر من ماله حبش العسرة، ما صر عثمان ما
عمل بعد اليوم.

وعن "علي" قال أمت أحيى في الدنيا والآخرة ومن كنت مولاه فعلي مولاه

وعن "طلحة بن عبيد الله" قال من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فليطرق
إلى طلحة..

وعن "الزبير" قال إن لكل نبي حوارياً، وإن حواربي الزبير من العوام

وعن "سعد بن أبي وقاص" يقول الإمام علي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي أحداً غير سعد، وذلك حين قال له يوم "أحد" ارم يا سعد، فدك أبي وأمي !!

وعن "عبد الرحمن بن عوف" قال الرسول لروحائه إن أمركن مما يهمني من معدي وليس

يصبر عليك إلا الصابرون والصديقون وكان على رأسهم «عبدالرحمن بن عوف» . يد أهدى
أمهات المؤمنين أرضاً بيعت بأربعين ألفاً..!!

وعن "أبي عبيدة بن الجراح" قال عليه السلام لكل أمة أمين، وإن أمين هذه الأمة - أبو
عبيدة بن الجراح .

وهكذا كان لكل واحد من العشرة مربيته التي لها في ميراث الرسول تقديرها الخاص.

أما المربية التي اشتركوا فيها معاً، فأحسها ماثلة في قول «سعيد بن حمير» رضي الله عنه
كان مقام العشرة المشربين أمام رسول الله في القتال وحلعه في الصلاة .



كلابُ بلخ

كان « شقيق الطححي » رضي الله عنه من أولياء الله العارفين وذات يوم، وهو خارج إلى

الحج سعى على قدميه!! التقي بصديق له لم يترابا من عهد بعد

ودر الحوار بينهما كما يدور عادة بين هذا الطرار من الناسكين والعابدين.

سأله "شقيق" ما حالكم فيما يقاسيه الناس هذه الأيام من شظف العيش، وصيق ذات

ليد. ؟؟

فأجابه صاحبه حير والله يا أخي. إن وجدنا شكرا وإن حرما صرنا

دنتسم "شقيق" وقال له. هذه حال كلانا!! إن وجدت شكرا وإن حرمت

صرت...!!

سأله صاحبه وهمه فاعر من الدهش والعجب إذن فما حالكم أنتم؟؟

قال "شقيق". نحن إذا وجدنا أثرا.. وإذا حرما شكرنا..!!

صدق الله العظيم ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مُقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ !!! [الافات ١٦٤٠] هناك مقام الشاكرين إذا وحدوا، الصابرين إذا فقدوا وهو مقام - لا ريب - عظيم وهناك مقام "المؤثرين" إذا وحدوا "الشاكرين" إذا فقدوا !!!

وهو مقام يعلو، ثم يعلو حتى يرتفع بأصحابه ودوره إلى سدة المنتهي منتهي السمو والبل والورع والسك والجلال. !!

ولله في حقيقه شؤون.. ولبعص خلقه من بحانه وعطاياه مالا ياله إلا المقربون !!
بعض الدين في أرواحهم حفاف وفي قلوبهم مرص وعلى بصائرهم عشاوة، يظنون أن مثل هذه الأسماء أساطير.. !!

إد لا يتصورون أن يؤثر المحروم علي نفسه من هم أشد منه حرمانا ناسين أن عصر الوحي، حيث «محمد» وأصحابه تتل منهم علي الحياة الرحمت، والجلليات، وكل فبص مدرار من معالي الأمور.. !!

يسبون أن الله رهم الأعلي قد وضعهم وأطراهم بقوله الكريم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ... !! [الحشر: ٩].

ويسبون أن رسوهم ومعلمهم وهادهم كان يحبرهم أن حير وأفصل وأسمي ما يعطون من صدقة وبر هو ما يدلونه عن فقر وحاجة وخصاصة وأهم - كذلك - كانوا يفعلون !!
من أولئك الرجال يا رجال؟؟

اليسوا هم الذين قال الله عنهم: ﴿فَيُهْذِنُهُمْ آفْتَدَةً﴾؟؟

اليسوا هم الأعلام اخفاقة في أفاق ديسا وناريجما؟؟

ألم يجعلهم الله لنا ولمن شاء أن يتذكر أو يحشي فتوة وأسوة ومارات وهدى؟؟

مهلا أحدا صهم ولو المستوي الأدبي الذي نكون فيه "شاكرين" إذا وحدنا وصابرين

إذا افتقدنا ١٩.

هلا ارتفعنا إلى مستوى "كلاب بلع" التي وصعها "شقيقى اللحى" بأنها إذا وجدت شكرت.. وإذا حرمت صبرت !!؟

لعل الله - سبحانه وتعالى - لم يمتحن عباده بشيء كما امتحنهم بالمال .

ولقد قال الرسول يوماً لواحد من أصحابه "قليل يفيك، خير من كثير يطفئ" !!

وقال عن واحد من المشركين بالحنة "يدخل عبد الرحمن بن عوف الحنة جواً" حتى إذا سئل عليه السلام عن السب، قال نجسه أمواله .!! مما جعل "ابن عوف" حين أسعته هذا الحديث أم المؤمنين "عائشة" تبرع بقافلة جاءت من الشام محملة نتحارة كان قد أودع فيها أكثر من ثلث ثروته.. تبرع بها جميعاً لأهل المدينة، وعيانه تفيضان من الدمع لحسناً وحشية...!!

ماذا يصنع اليوم أساء ذلك الرعيل من الأبرار والرحال الكبار ؟!

ماذا يقدم للدين بصر عهم الجوع في بلاد كثيرة من دبر الإسلام ؟!

وماذا تقدم للدين تحرب قراهم ويصرع رجالهم وشبابهم وسأؤهم وأطفالهم من والأحبة

سريئة في بطون الأمهات - علي أيدي الجيش الأحمر المجرم في أفغانستان ؟!

ماذا يقدم لصحايا الجيش الإسرائيلي القذر في جوب لسان ؟!

ولصحايا "ماركوس" الجبان في الفلبين ؟!

ماذا..... وماذا.. وماذا..؟؟ يا أهل النثور !!؟

كيف شكر الله علي ما أعطانا من ثراء مفيض ودنيا عريضة ؟!

ألا يا "كلاب بلع" - دلبا علي الطريق !!!

العمل في الإسلام

عن خصائص العمل السديد وأحلاقاته، مروي الحديث

إنه ليس كل عمل سديداً، وليس كل عمل رشيداً..

إنما السديد والرشيد من العمل ما تتوفر له وفيه صفات السداد والرشد. وأول هذه الصفات - الإتيان.

إن إتيان العمل يعني في تفكير الرسول أمراً بالغ الأهمية لذلك فهو يربطه بحب الله سبحانه.

وإتيان العمل يعني حشد كل عناصر القوة والحوذة حتى يبلغ للعمل أعلى مستويات الكمال الميسور.

وما لم يكن العمل كذلك فإن إثمه يكون أكبر من نفعه

إن الرجال الذين يصنعون طائفة ثم لا يتقنون صنعها إنما يعرضون حياة المئات من الناس للموت في حادث مشؤم.!!

وعمل السبكة الذي لا يتم إصلاح "حمية" المياه بسبب من الأصرار والإصرار في ضياع المياه الشيء الكثير.

وعمل الصدفة إذا لم يتم عمله في جمع القمامة وتنظيف الطريق إنما يعرض حياة الناس للأمراض والأخطار

كل عمل غير متقن مرفقة وكل عمل غير متقن عثر . وكل عمل غير متقن عثر
والرسول عليه السلام يقول: «من عشنا فليس منا»

ويقول «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل»

ويعلمت أن نصرع بهذا الدعاء دوماً وفي صحنا ومساكننا لأن العجز والكسل آفة كل عمل .. وبسببها يفقد العمل إتقانه ويفقد صلاحه.

وإن كل تقدم حضاري شهده الدنيا لا يرجع إلى ما تحجزه الأمة المتقدمة من أعمال بقدر ما يعود إلى الإتقان الذي تتجز به هذه الأعمال.

ويعلم الرسول أن يحب أعمالنا وحرصنا، وأن نقل عليها في شعف وهيام وإذا لم نعمل ما نحب، فأحب ما نعمل ..

من أجل ذلك بوصينا الرسول عليه السلام بالكور في طلب العمل وفي السعي إليه.

كأنه يريد ما أن سبت ونحن على موعد وشوق إلى صحوة اليوم الحديدي لكي سحر فيه عملاً جديداً.

يقول عليه الصلاة والسلام «اللهم بارك لأمتي في بكورها» ويقول «ساكروا العدو في

طلب الرزق، فإن العدو بركة ونجاح»

وتحزن السيدة «قطمة الرهراء» ست الرسول عليه وعليها صلاة ربنا وسلامه أن الرسول رارهم ذات يوم في الصبح المكر فوجدوها مصطحمة فادأها «باسية» قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من العافلين!!

كان الرسول يحب الكور ويتفاهل به، وكان لهذا يأمر أصحابه ألا يناموا بعد صلاة الفجر، ويدعوهم أن يواصلوا ليقظة والصحو حتى يشهدوا بواكير الصباح. والذين تعودوا أن يباشروا أعمالهم مبكرين يدركون أكثر من غيرهم ما هذا الكور من بركة وحير

والتعاب التي يلقاها العامل في عمله فتويع لحياته. والذين يعملون بأيديهم أكثر العاملين أحرأ وأعلاهم قدراً. لقد مثل عليه السلام أي الكسب أطيب؟ فأجاب «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»!!

وتركيز الرسول على «عمل الرجل بيده» إعلاء لشأن الحرف التي قد تدنو في أعين البعض مما شاقة أو مهينة، وتركية للحرفيين والصانع الذين يمارسون بأيديهم المحيطة والمجاهدة أعمالهم وما يصنعون..

ذات يوم أقبل على الرسول مصافحاً أحد المسلمين، فأحس الرسول في كفه خشونة غير مألوفة، فسأله «ما مال كفيك قد أجبكتنا» أي أصابتهما الخشونة والتشقق فأجابه الصحابي: من أثر العمل يا رسول الله

رفع الرسول هاتين الكفين الممحلتيين. رفعهما أمام أصحابه ثم قبلهما، ولوح به كأنهما راية وقال مباهاياهما، ومطريالهما «كمان بحمها الله ورسوله»!!!

والحق أن الرسول شديد الكلف بالحرفيين الذين يعملون بأيديهم ويمجدون العناء في أعمالهم

يقول عليه السلام «إن الله يحب المؤمن المحترف»

ويقول «من أمسى كالاً من عمل يده، أمسى مغفوراً له»

ومن خصائص العمل السديد الرشيد، ومن دواعي إتقائه أن يتم في أساة وصبر، وأن يكون بعيداً عن بواعث الشر والعجلة..

فالتسرع خوفاً من هوان ررق يفسد العمل ويجعله حداثاً ومبتوراً

وإذا كانت المعجلة سيئة العواقب في كل شيء، فهي أشد سوءاً فيها بهارس من أعمال، لأن العمل - أي عمل - يحتاج إلى روية وإعمال فكر.

يبد أن الأداة لا تعبي الخمود والموت وإنجار ما يحتاج إلى ساعف، في أيام كثرات

فالعامل المسترخي غير العمل المتأني والعمل المسرحي ثقبيل السعد، مرفوض من الدين ومن الدنيا، لا مسي إذا كان عملاً متصلاً بمصالح الجاهير، والشره إذا وحه أعمال قادها إلى الشر والسوء.

من أجل هذ أكد الرسول كثيراً أن الررق يحث عا يقدر ما سحث عنه، وأن يمأس تموت حتى تستوي ررقها المقدور وأجلها المعلوم وذلك في محاولة منه عليه السلام لهبه نزعة الشره والطمع والحرص!!

يقول صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس اتقوا الله وأجلوا في الطلب، فإن نفساً لم تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجلوا في الطلب» !!

وفي رواية أخرى للحديث «فإن نفساً لم تموت حتى تستوفي أجلها ورزقها».

ويقول عليه السلام «إذا استنظأ أحدكم ررقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا يبال فصله بمعصيته».

ولا رب أن إعمال العمل إعمالاً يترتب عليه فساد، وعدم إتقائه عصيان لله وطرح لتعاليم رسوله

ويستطيع العمل أن يتخطى حاجر العجلة وحاجر الشره، بالتموق على أدبيته، ويتمنحه على مصالح الناس وآلامهم وأمالهم وحاجاتهم.

ومن تمام سداد العمل ورشده واستقامته وبراهنه أن تراعي حقوقه إذا كان ثمة أجراء. إن الرسول عليه لسلام يصون حقوق العمل والعرق بتعاليم ناهت في الرشد والحيان!!
هو ذا يقول «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»

انظروا، هــد التعير المتألق المتأنق وانظروا هذا الحرص الجليل والسيل على حقوق الأجراء!!

«أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» إنه يربط بين الأجر والعرق إشارة إلى ما يعاينه الأجير من مشقة وكد يستوجبان المسارعة إلى إعطائه حقه وأجره



مرة أخرى مع العمل في الإسلام

العمل في الإسلام كرامة وشرف.

فالذي يعمل ويكدح ثم يأكل من عمله وكدحه وعرق جبينه يمثل مطاريفاً من أساطير الشرف والكرامة ويقول عليه السلام "ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده".
وشرف العمل وكرامته يرجعان إلى ذات العمل وأحققيته، وليس إلى نوعه ودرجته وليس في الدنيا عمل حقير وعمل عظيم إلا بقدر وبطبيعة ما يبدل في كل منهما من جهود وما يكون وراء كل منهما من بواعث ونوايا.
وكن عمل صغير تهوى فيه يتحول من مورد إلى عمل عظيم وكل عمل قديم تشكر فيه يتحول بدوره إلى عمل جديد
إذا كان أحد راعاً أو صانعاً أو طبيباً أو أستاذاً أو طبيباً أو مهندساً فإن قسراً كافاً من لولاء بالعمل والجهد في إنجازه كميل بأن يخرج حراً وبخلى عظمته

ليس من حقنا أن نحقر العمل أيا كان نوعه ما دمتا نقيه ونمحوه من جهده المرید
ولأن تكون «الأول» في عمل صغير خير من أن تكون «الآخر» في عمل كبير
وبس هناك عمل صغير أسا إذا كان الجهد المبذول فيه كبيرا وبسيلا
وإن رسول الله عليه السلام ليعلمنا ذلك في الكثير المأرك من أحاديثه
هـ هـ د يقول «لأن يأخذ أحدكم أحبله، فيأني حرمة من حطب علي ظهره فيبيعها،
فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس - أعطوه أو معوه »
فان يأخذ رجل حلا ليوثق به حرمة من حطب احتطبه وجمعه فهذا يسد في أعين الناس
تافها وصغيرا - لكنه في الموارد الصحيحة للعمل حليل وعظيم لأنه جهد بذل في سبيل
اكتساب رزق حلال وشريف..
وقول الرسول «خير له من أن يسأل الناس» يفتح أعينا علي إيجار عظم من إشارات
العمل، ألا وهو كف العامل عن السؤال أو التسول...
إن الرسول عليه السلام لا يرصي لأمنه أن يكون أمة من المسؤولين من أجل ذلك رحر
عن المسألة وسبي عنها كما لم يزجرو منه عن شيء آخر..
فعنه - عليه السلام - يروي ابن عمر قوله «لا ترال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى
وليس في وجهه مزعة لحم»..
وإذا كان المجتمع الإسلامي يعال في أيامه الأولى من الفقر، والحاجة، والخصاصة، فقد
اهتم الرسول كل الاهتمام بصرف المسلمين عن المسألة
والاستعاضة عنها بالعمل الذي يتروده الإنسان ليومه .
عني الرسول بأن يطل المسلم كرييا لا يمد يده ولا يجني جهته.. وكان يقول لأصحابه «
المسألة كنوح في وجه صاحبها يوم القيامة. فمن شاء استنقي علي وجهه»
ويقول لهم «إنما المسائل كنوح - أي هموش - يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أنفي
علي وجهه، ومن شاء ترك.. إلا أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بداء»
أجل. يسما يكثر في المجتمع الفقير المسؤولون والسائلون سجد "عمدا" عليه الصلاة

و سلام يحمى مجتمع الإسلام بأن يحصه على العمل الشريف مهما يكن قليل الوافد من ويهيى عن المسألة مهما تكن الحاجة إليها ملحة وداعية..

ويقول لأصحابه «لو تعلمون ما في المسألة ما مشي أحد إلي أحد يسأله»
ولقد بلغ الأمر بالرسول أن ترك برجره عن المسألة انطاعا في موسى أصحابه ألا يسأل أحد أحدا شيئا مهما يكن ذلك الشيء..

يحدثنا الصحابي الحليل عبد الرحمن بن عوف فيقول
«كنا عند رسول الله فقال ألا تنابعون وكنا حديثى عهد ببعته فقلنا بآيعناك يا رسول الله فقال ألا تنابعون؟ فبسطنا أيدينا وقلنا علام نبايعك؟ فقال أن تصدوا الله ولا تشركون به شيئا والصلوات الخمس ونطيعوا ولا نسألوا الناس شيئا»
يقول عبد الرحمن فلقد رأيت بعض أولئك النمر يسقط سوط أحدهم وهو فوق دابة فينزل ليأخذه ولا يسأل أحدا أن يتأوله إياه..

تعلم المسمون الأوائل ذلك من بينهم الذي رباهم على الكرامة والعزة
وتعلموا أنه لو أن رجلا نادى غسل في يوم حار ما تحت أثاره ورفعه ثم شرب منه العسالة التي برئت بأوصاح حسده لكان ذلك خيرا وأهأ من أن يأخذ الصدقة، لأن الصدقة كما علمهم رسولهم أوصاخ الناس...
بل ها هو ذا حكيم من حرام رضي الله عنه بأبي أن يأخذ حتى نصيبه من بيت مال المسلمين..

ذلك أنه ذات يوم سأل الرسول فأعطاه ثم سأل فاعطاه ثم سأل فاعطاه، ثم قال له الرسول «يا حكيم» إن هذا المال حصر حلو فمن أحده سحاوة نفس - أي بقاعة وتعفف - بورك له فيه ومن أحده بإشراف نفس أي بطمع وشره - لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى - فقال حكيم للنبي والذي بعثك بالحق لا أرأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا - أي لا أحد من أحد شيئا

فكان «أبو بكر» يدعو حكيمًا ليأخذ نصيبه من العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا وكان «عمر» يدعو له يعطيه فيأبى أن يقبله مما جعل أمير المؤمنين «عمر» بسادي بين

المسلمين قتلا أشهدكم علي حكيم أبي أعرص عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفناء فيأبى
أن يأخذه وطل حكيم هكذا لا يأخذ شيئا إلا من عمل يده حتى نوفي رصي الله عه

هكذا كافع الرسول المسألة بالعمل، والتسول بالكدح وكان عله السلام لا يجير المسألة إلا
في الضرورات القاهرة ها هو ذا عليه السلام يوصي أبا شر قبصة من المحارق فيقول يا
قبصة: إن المسألة لا تحمل إلا لأحد ثلاثة:

رجل تحمل حمالة - أي أنفق ماله في سبيل صلح بين فتتين متقاتلتين أو في ضمان أو دية -
فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك..

ورجل أصابته جائحة احتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش.
ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجج من قومه لقد أصابت فلانا فاقة -
فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش..

«وما سواهن من المسألة يا قبصة سحت، يأكلها صاحبها سحتا»

متي يكون التجار فجارا ومتي يكونون أبرارا ؟ !

تحتل التجارة في عالم اليوم مكانا استراتيجيا عظيم الأهمية

والظمان اللذان يتارعان العالم وتجاذباه وهما النظام الرأسمالي في الغرب والنظام الشيوعي في الشرق، يصدران في حلفاهما عن فهم غير متماثل للتجارة .

وكانت التجارة بكل مزاياها ومساوئها هي التي أوحى إلي «ماركس» بفكره الشيوعي وبكتابه «رأس المال» .

وقبل ماركس انقسم الفلاسفة إلى فريقين فريق جعل شعاره «الثروة سرقة» وحمل على التجارة والتجار الكسار حملات صارية . وفريق آخر قدس رأس المال وبالتالي دافع عن التجارة دفاعا حاراً ..

وقيل هؤلاء وأولئك كان الإسلام. كان سيدنا «محمد بن عبد الله» عليه أفضل الصلاة وأرخص السلام يتحدث لأمنه، أمة الوسط، عن الطريق الوسط «وكذلك حمتكم أمة وسطا»

كان يتحدث فيما يتحدث عن التجارة وعن النحر علي طريقته التي يمرح فيها لصدق بابر، والعقل بالوحدان، وكان يجعلها قضية من قضايا الله ومن قضايا الصبر!! وهو يعطيها حقها في الوجود وفي الاستمرار بعد أن يقيها من شوائبها وأشوكها الحادة وبعد أن يصعها علي الطريق المستقيم..
والآن، لتأمل معا هذا الحديث.

«إن أطيّب الكسب كسب النحر الذين إذا حلتوا لم يكذبوا. وإذا ائتمنوا لم يخونوا. وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمتطوا. وإذا كان لهم لم يعسروا...!!»

إذا نحن نقبها هذه الصفات من النحر إلى التجارة عثرنا علي أعدل وأمثل نظام اقتصادي تكون التجارة فيه خادما طيبا، لا سيدا ومستبدا....!!

يبدأ الرسول الذي قال «الناجر الصدوق الأمين مع البين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة» هو الذي دخل السوق يوما والمسلمون يتبايعون فصاح يا معشر النجار.. حتى إذا رفعوا أنصارهم وأعناقهم مصفيين لثناء الرسول قال لهم «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق» !!

وهذا أكمل الصورة الصادقة للتجارة والتجار..

والناحر الكبير كالناحر الصغير في مسئولته عن تجارة بطيفة لا عس فيها ولا استغلال ولا احتكار.

والشركات التي يلع رأسها عشرات ومئات الملايين أكثر مسئولية وأولي بالتقريع واحساب العسير إذا هي انحرفت عن جادة الطريق.

وأول ما يهني الرسول عنه التاجر هو الخلف الكاذب لرويح سلعته.

ويقول عليه السلام «إياك وكثرة الخلف في البيع، فإنه ينفق ثم يعمق» !!

ومثل الخلف الكاذب تلك الدعاية الكاذبة التي يستعمل بها التجار الكسار، السدح من الناس والتي تملاً الصحف والإذاعات وشاشات التلفزيون !!

إن هذا اللون من الدعاية إذا كان كاذباً ومالعا فيه يشكل حياة للناس وحياة للأمانة وهما نلتقي بكلمات الرسول عن هذه الفئة من التجار الذين استحقوا مقتله لأهم «يخلصون فيأثمون ويحدثون فيكذبون»..

ويهني الرسول عن الاحتكار، ويرى فيه إثماً مباحاً وخطراً مباحاً

يقول عليه السلام «بئس العبد المحتكر. إن أرخص الله الأسعار حزن وإن أعلاها فرح» !!

وهؤلاء الذين يلعبون بأفوات الناس ويحتكرون السلع انتظاراً للغلاء لا يستحقون أن يكونوا عمداً لله..

يقول عليه السلام «من احتكر طعاماً أربعين يوماً بريد به الغلاء فقد سرى من الله تعالى وبرئ الله تعالى منه»...!!

إن المحتكر في نظر الرسول قاتل إنه لا يقتل مرداً بل يقتل مجمعا وإن إطعامه الشره نجعله يتجاري كما يتجاري الكلب - مفتاح اللام - بمن عصه كلب مسعور. !!

إن إطعامه هي ذلك الكلب المسعور الذي يظل يعصه ويهشه حتى يتلبه بشر مصاب . إنه قاتل، ومجرم وملثاء...!!

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «يخسر الحاكرون وقتلة الأنفس في درجة واحدة ومن دخل في شيء من سعر الناس بعلبه عليهم كان حقا على الله أن يعذبه» !!

ويرجر الرسول التحار عن النهالك والطمع والأنانية ويحذر أن هذه الثلاث لن تزيد الرزق شيئاً وإنما تفقد المتلى بها سكية النفس وشرفها وكرامتها

بش كثير ما يجمع سائر الرعية في الشراء إلى البحث عن المال من أي طريق وفي التحار به بعد عتاد لشراء إلى العلل المحبون ولا يرصون من الرشح إلا أفحشه طابين أهم بأحدون من الررق ما لم يقسمه هم الله بل إهم أحيانا يستظنون الشراء فيطلبونه بمعصية الله ناسين أن الله لا يدل فصله بمعصيته والرسول يعلمنا - لاسيما التحار ما - ألا يستطيع الررق ويدا استطائاه فتجادر أن نتعجله بوسائل غير مشروعة لأننا بهذا نعرض أنفسنا لمقت الله

إن التحار لم يستحق أن يكون مع السيئ والصدقيين والشهداء والصالحين يوم القيامة إلا بما يستمست به من المصدق والأمانة والشفاعة وعلي التحار أن يدكروا قول الرسول عليه الصلاة والسلام ليس العبي عن كثرة العرض ولكن العبي عبي النفس وقوله «إن الررق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أحله»!

محدثنا «أبو ذر» صاحب رسول الله يقول «جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ - [لطلاق ٣، ٢] فجعل يرددها ويقول «يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بهذه الآية لكفتهم»

إن التحار يمسكون بعصب الحياة وهم يكوصلهم عن تعانهم وبالرعية الشريعة المسعورة في الرشح الكثير الناهط، يحنقون المجتمع ويشيرون فيه التلدة والفوضى ويشيرون الأرمات والخراب..!!

وهم مهدا يرصون أنفسهم لمقت الله ومقت الناس، وإهم لمعبون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول. «من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له».

حوار...!!

لو استشهدت بين أيديهم يقول الفرزدق:

أولئك آتائي فجتني بمنزلهم إذا جمعنا يا حريص المحامع
ما وفيهم بعض ما يستحقون من تكريم، وتوقير، وإحلال، ولا صورت بعض ما في
أنفسنا من ازدهاء بهم، وفخار...!!

أولئك هم، ذلك الرعيل الصالح العظيم المتصوق والمناقب من سيف اساق،
وشيوخ الرواد! إن أمرهم لمعجب وإن وصفهم لمن الأمور الصعبة .
إد لا بد لكي بحسن الوصف وحيد، أن ترفي رقيهم أو علي الأقل تقترب منهم بأبصار
تقدر علي مواجهة أنوارهم الباهرة والمبهرة...!

ما هذا الولاء المطلق لله، ولرسوله، ولدينه، وللمحق الذي جعله الله فيما ندس !!
مدا كنت تلك الشجاعة المفتحة التي واجهوا بها الخلفاء، والرؤساء والحكم يسما

كنت لسلامل والأعلال التي يرهبون بها العباد تملؤ منهم الأعين والأسماع متوعدة
ومندوة ١٩

ألا إهم للرجال، يا رجال !!

وأولئك، هم المؤمنون حقاً..

تعالوا إلي لقاء سعيد، ومجيد مع واحد منهم ذلكم هو أبو حازم بن دينار لا بد أنكم قد
شمتمتم غيره، واستشرتم عظمته !!

عدم وصوفي وقديس من الرعيل الأول الذي أحسن الإسلام تربيته، وصاعه في أحسن
تقويم سعادت به الحياة في عصر الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان"

وقد سعى في رهنه وورعه وترفعه، وتقواه ملهى يتعاطم كل وصف وإطراء. وكان
الخليفة "عبد الملك بن مروان".

رغم رهوه، وشموحه، واعترازه بالملك وبالنفس يسهر بروح "أبي حازم" ويتقأماً أمام
جرائته وصدقه وقضاء ما يملأ يقينه من ترفع وزهادة.

ودات يوم سافر "عبد الملك" إلى المدينة المنورة ولم يكده يستقر في قصره امسيف حتي
طلب من حاشيته حنصائه أن يدعوا "أبا حازم" للفائه

كان يعلم تماماً حرمة وحسمة إذا واحه الخلفاء والرؤساء وإن له معه تجارب سابقة،
يدكرها ولا يساها ويدكر تلك الكلمات القواطع التي يرسلها "أبو حازم" في وجه أعلي
أخياء، وأكبر الرءوس، ماصيات كالسيوف المرهفة !

ولبي "أبو حازم بن دينار" دعوة الخليفة العظيم "عبد الملك بن مروان" وبين العملاقين
- عملاق السطاب، وعملاق الإبيان - عملاق الحكم، وعملاق الحكمة، دار هذا الحوار

الخليفة: يا أبا حازم ما هذا الجماء؟؟

أبو حازم: أي جماء رأيت مي يا أمير المؤمنين؟

الخليفة: وجوه الناس زاروني، ولم تزدني..

أبو حازم: ما أنت لي، ولا أنا لك بصديق !!

الخليفة: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟؟

أبو حازم: لأنكم عمرتم الدنيا، وحرستم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب!!

الخليفة: صدقت والله يا أبا حازم تري ما دالنا عند الله عدأ؟؟

أبو حازم: أعرض نفسك على كتاب الله، تعرف مكانك عنده!!

الخليفة: وأين أجده في كتاب الله؟؟

أبو حازم: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَنْزَارَ لَهِيَ بَعِيرٌ ۖ وَإِنَّ الْقُبُورَ لَهِيَ بَعِيرٌ ۖ﴾ [الإعطار: ١٣، ١٤]!!

الخليفة: فأين رحمة الله إذن؟؟

أبو حازم: قريب من المحسنين!!

الخليفة: وكيف لنا أن نصلح أنفسنا؟؟

أبو حازم: تركون الصلوة، وتتمسكون بالمرءة، وتقسمون بالسوية وتعذبون بين الناس، وتأخذون المال بحقه، وتضعونه في حقه!!

الخليفة: يا أبا حازم، ألا نصحبا فنسمع بعلمك؟؟

أبو حازم: إي أخاف - لو فعلت - أن أركن إليكم ثبثاً قليلاً، فيدبقي الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا أحدي من بصيراً!!

الخليفة: إذن، فارفع إلي حاجتك، أفصها لك

أبو حازم: تدخلي الخنة، وتعددي عن النار!

الخليفة: ليس ذلك لغير الله

أبو حازم: وليس لي حاجة سواها!!

الخليفة: يا أبا حازم. ما رأيك فينا؟؟

أبو حازم: ألا تعفيني من هذا السؤال؟

الخليفة: إنها نصيحة تلقىها إلينا..

أبو حارم. إذن فاسمع إن أباك اعتصموا هذا الأمر من الناس أحدوه عبوة بالسيف من غير مشورة ولا اختيار!! وقد قتلوا من أجله خلقاً كثيراً، وبعد حين رحلوا فلو تدري مصيرهم عند الله..!!

وهنا صاحب كبير حاشية الخليفة قائلاً لأبي حارم نس ما تحاطب به الخليفة!! وأجابه «أبو حارم» كذبت. إن الله أحد علي العلماء ميثاقه لبئس لبس الحق، ولا يكتُمونه..!!

وهبت المواقف الكبير!! واستأنف الخليفة الحوار..

— يا أبا حازم، أوصني..

أبو حارم: نعم.. سأوصيك وأوجز.

بره الله تعالى وعظمه، بحيث لا يراك حيث سهاك ولا يمتدك حيث امرك!! وهم أبو حارم بالانصراف، فقدم الخليفة إليه صرة مثقلة بالدينار، وقال والحياء يكسرو وجهه ألا تقبل منا هذه..؟؟ وابتسم «أبو حازم» ابتسامة ساخرة وقال:

«والله ما أرضاها لك.. فكيف أرضاها لنفسي»!!

وبعد، فهل هناك في العالمين من يستطيع أن يردف هذا الموقف الهنيء، الشدي، العلي بتعليق؟؟

أبدأ. مهما أوتي من فصاحة القول، وروعة التعبير..!!

فيا سيدنا وشيخنا، وإمامنا «أبا حازم»..

تحية لك..

وتحية للرسول الذي علمك..

وللدين الذي أنجبك..

وإذا أدت — سلام عليا. وعلي عباد الله الصالحين !!!

ظنوا بربكم خيراً يؤتكم خيراً .. !!

أنا وأصدقائي القراء - لا أسألم الحديث عن رحمة الله !!

ويعتكم بكوني كذلك فالحدث عن الرحمن الرحيم آية علي ذكاء الإيمان، وصدق المعرفة بالله والإيمان الخفيف الذكي والمعرفة الصادقة والسديدة بالله، طريق مسدود يصل بانحداب إلى ربه العلي الكبير في مثل سرعة الضوء كما أسهبنا بشران أعظم فصائل المؤمنين - ألا وهي حسن الظن بالله !! وإذا تعشي حسن الظن هذا عاشية من الحسن الفلق، والمتوتر، والمرعوب فإن المؤمن بهذا أحلف ظن الله فيه ويكون قد قطع واحداً من أهم خطوط الاتصال بينه وبين ربه !!

وعل هذه لكلمات تعسر ما يرويه الحديث القدسي الصحيح «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله .. وإن ظن شراً فله» !!...

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وإني لأحفظ هذه الآية الحانية الكريمة، كما يحفظها الدين يتحفظون بها علي كل حديث عن رحمة الله !!

إنني حين أمضي وأنهدي في جان (الرحمة) الإلهية متأبياً مستوثقاً، فإنه لا يعرب عني مثقال ذرة من الإيثار بأن رحمة الله سبحانه وتعالى - هي وعده الصادق للدين آمسوا واتقوا وأحسنوا.

بيد أي أعلم - وأرحو أن تكونوا تعلمون - أن من تمام الإيثار والتقوى والإحسان ألا تسيء الظن بأسمي صفات الله - وهي رحمة !!

إني إن فعلت تكون قد أحدثت مكانك القمي والتعس بين الدين يحملون أورهم علي صهورهم - والدين عنهم الله بقوله ﴿ أَلَسَاءَ مَا يَرْوُونَ ﴾ !! [الأنعام ٣١] فإذا لم نجعل رحمه الله « مسجعت » البصير، وأملك الكبير، فقد أسلمت كاهلك للأحمال الثقال أحمل همومك ومخاوفك وجرعك ويأسك ... !!!

وفي نفس الوقت ونفس السب تكون قد برعت من قلبك رحمتك لنفسك، وحرمتها من أئمن نعم الله علي عبادنا، وهي « السكينة » ..

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُذَوِّاْ إِيْمَانَهُمْ ﴾ [الفتح آية ٤]
إذن فالسكينة تربي الإيثار، وتضاعفه وتتميه ..

وإذ كانت رسالة الشيطان تتمثل - أول ما تتمثل - في محق الإيثار وسحقه . وفي طمره تحت أنقاض اليأس والاكتئاب، وأنقاض هسك المهارة - فإنك بهذا تكون قد أخرجت نفسك من حديقة السكينة والرحاء، والأمل، والإيثار - وقدوت بكل مقاديرك السعيدة إلي أنون اليأس، ومرارة القنوط

إن الأعرابي اندي قال « إن حاسبي علي دبي حاسته علي عصوه » كان - رعم بداوة مسطقة - بمثل المهم الصحيح والسديد للعلاقة السجحة العظيمة بين العبد والرب !!

ومثل هذا العبد المذل علي ربه بها له سبحانه من رحمة لا تقيص ومن حنان لا مسهي له منه يقول الحق سبحانه « من مشي إلى شراً، مشيت إليه ذراعاً - ومن مشي إلي ذراعاً، مشيت

إليه داعياً ومن أتى يمشي أتبه هرولة !!

إن الله الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، ليعلم أن الطريق الذي سيمشي العبد عليه إليه، مملوء بالمهاوى والخمر.. مسبب للعثرات محشود بقطاع الطريق من شياطين الإنس والجن ومن بروات النفس وبرعات الهوى ومع ذلك فهو - حل حلاله - يسارع إليه - دراعاً، إدامشي العبد شراً وباعاً، إدامشي إليه دراعاً وهرولة، إدامشي العبد حوا !!
ولكن عثراته ما تكون، ولتقطع السروات والبرعات عليه الطريق ولتثبت بقدميه، ولتحتسب خطاه حتي تعافيه عن المسير..!!

كل ذلك لن يحرمه من عون الله له ومن هرولة - سبحانه - إليه !!

ذلك أن ربه الذي يشد الرحال إليه، ليس - فقط الأولي وجوده بل، والأولي في حوده !!

إن الإنسان قد تلقى «مختاراً» من يمين الله التقدير، المسئولية الكبرى التي عرصت علي السماوات والأرض والخالق فأبى أن يحملها، وأشفق منها !!
حملها الإنسان في «عدائية» رائقة، وفي يؤس عظيم. ولكم كان حادفاً وصادقاً ولي الله ' يحيى من أسى كثير " حين قال لا تعجب ممن هلك ولكن اعجب ممن نجا، كيف سبحانه.. !!

أجل. ليس المعجب من الكثرة اهالكة.. وإنما المعجب من القلة الناجية !!
ومع ذلك، والله لعللي الأعلي يدير حساناته علي طريقته، وليس علي طريقته. ومن ثم فهو كما قال الرسول الكريم أرحم بعبدته المؤمن من الأم بولدها الرضيع !!

ألهذا جمعنا ... ؟

أقبل القرشيون يادي بعضهم بعضا أن هلموا إلى الصفا، فإن "محمدًا" هناك، يريد

أن يتحدث إليكم.

وما كادوا يتحللون حول الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى احتواهم نظراته الخافية
والصافية

وانفرجت شفاته عن كلمات هادئة كصوء العجر:

يا معشر قريش، رأيتم لو أحمرنكم أن حبلًا مألواذي تريد أن تعير عليكم أكنتم
مصدقني...؟؟

صاحوا جميعاً في صوت واحد نعم - واللات - صدقك فما جربنا عليك كذبا

وعادت الكلمات تتحدر من بين ثيابه، كأنها حبات لؤلؤ منشور

إذن ما علموا أي رسول الله إليكم لتعلموه وحده، ولا تشركو به شيئاً من آهنتكم

وأصنامكم ..

وسرت بين الجميع مهمة لا تكاد تبي . تلقاها بلسانه السليط "أبو لهب" وصرح بها
صرخة الخائف المدعور، والخائف الموتور فقال للرسول
تباً لك .. أهدا جمعنا ...؟؟!!

وذا كان لكل أمة «جحاها» . فلكل حيل «أبو لهب»

وأبو لهب هدد، أو «آاء هب» الذين لا تراهم دعوة، ولا يجلو منهم عصر . والذين
يمهرون بهور «الحمر الوحشية» من كل بداء يدعوهم إلى الله وإلى الخير وإلى الحق .
وهؤلاء «النهيون» مكوب بهم كل عصر، وكل حيل يقطعون الطريق على كل إصلاح
مرئجي . وعلى كل حقيقة تقدم تفسيرات ذكية لمشكلات الحياة واحتياحات الإنسان
وشعرهم، هو نفس شعار كبير عائلتهم، ورائد رحمتهم إلى الوراء «أبي لهب» . إنا وحدها
آاءنا على أمة . وإنا على آثارهم مهتدون"

وهؤلاء «النهيون» براهم على كل طريق يسير عليه مدر، أو مصلح، أو هاد . وكما
أرسل هذا النذير، أو المصلح، أو الهادي سائر كلمانه للسائرين معه، أو الملتفتين به على الطريق
صاح «النهيون» تالك أهدا جمعنا ؟! إهم لا يريدون أن يجتمعوا إلا على صلالة .
أما الهدى، فهي قلوبهم مه مرض وفي آداسهم صمم . وعلى أعينهم عشاوة . !!! إهم
يجامعون الحقيقة، ويهربون منها . ويجحدون العقل ويعطونه ظهورهم وأقفيتهم.
لمادا.. ؟

لأن «الحقيقة» تكشف الريب . ولأن العقل يقاوم الهوى ويؤكد الصدق
يقول الإمام على كرم الله وجهه لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر الناس
صلاة، ولا صاماً، ولا حياء، ولا اعتذاراً لكنهم - عقلوا - عن الله مواعظه"

وتقول السيدة «عائشة» رضي الله عنها "قد أفلح من وهبه الله عقلاً" فالولاء للحقيقة وحسن استخدام العقل، هما خبر ما يفاء على الإنسان من نعمة. والذين «يعقلون» عن الله مواعظه - كما قال الإمام علي - هم أهدي الناس سبيلاً وأقومهم قبلاً

إن حياتهم وإيمانهم في تجدد دائم لأن رؤى الحقيقة والعقل لا تنهد ولا تنهمر.. ومن ثم فهم يحبون معها في شتاب دائم وفي علق مبيض من الحكمة، ومن الحق، ومن الخير، ومن لصواب.

أما «اللهييون» القانطون من أن يكون لهم بين الخيرين مكان. والناعقون بها لا يسمعون .. والدين ارتأت قلوبهم، فهم في ريبهم يترددون

أفون أما هؤلاء فسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون !!



لكي نكون نوراً وعبيراً

حكمة بالغة، وأمر عجب، في هذا العصو من أحسدا وأعصاتا وهو اللسان. ١١

إن كافة أعصانا المتحركة، يباها التعب إذا جاورت حركتها مدى طاقتها واستطاعتها
حرك رأسك طويلاً أو حرك أياً من ساقيك. وذراعيك طويلاً فإن التعب لا محالة
باردك وبها مصر لك ولها إلا اللسان !! لولت في حركة دائمة ودائمة تتصل فيها
الساعات بالساعات بل الأيام بالأيام، فإنه لا يكل، ولا يمل، ولا يعبأ ١٢

آية حكمة بالغة، وأي سر عظيم ١٣؟

ألا يكون الله - سبحانه - وقد أمرنا بدوام ذكره، قد جعله كذلك يسره للذكر ١٤
ألا يكون وقد جعله الله سبحانه - الأداة الوحيدة للدعوة إلى الخير والحق، قد هيأه ويسره
لما خلق له ١٥.

ألا يكون، وقد جعله الله مسحاة الوسيلة الوحيدة للتخاطب والتصاهم، قد جعله طوع
الكلمات ولو كانت كهدير البحر..!

كل ذلك قد كان ..

ولكن ذلك خلفه الباري العظيم، وأمنه هذه المقدرة العجيبة والميرة العريضة

وهكذا صر «اللسان» عبثاً للإنسان لا يماثله عزم ولا يصاحبه إحسان

يد أنه كذلك عزم كبير وخطر رهيب لمن، وعلى من يسعى استخدامه ويطلقه في غير تأن
وروية وحساب.

مثل حكيم ما أكثر ما يورد الناس المهالك؟؟ قال: «عثرات اللسان» !!

اللسان - يا أخي - هو حثتك أو بارك هو نجيئك أو نعيك. هو صديقك الحميم أو
عدوك الرجيم..

وبعارة واحدة: هو أنت .. أو لا أنت !!

أنت - كإنسان سوي وصيء يحيا مثل رهرة حلوه في بستان الله، بما تملك من بستانك وبها
يهوج من غير كبرياتك الطيبات.. !!

ولا أنت - إذا انتعيتها عوجاء وتركت لسانك يهدر بكلمات السوء، والباطل، والبداءة،
والأصايل !! من أحل ذلك طالما حذرنا الرسول الكريم من حصائد الألسنة ويصرب
محاطر هذه الحصائد مثلاً بليغاً، ليقول:

"إذا أصحح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تستكفي اللسان وتقول اتق الله فيب فإني بحس
بك إن استقممت استقمما، وإذا اعوججت اعوججما" !!

ويذهب إليه الصحابي الخليل سفيان بن عبد الله "رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين
فيقول له، يا رسول الله حدثني بأمر أعنتصم به فيجيبه الرسول - قل ربّي الله، ثم استقم

ويستأنف الصحابي السؤال: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟؟ فيأخذ الرسول
لسانه ويقول: هذا..

ويريدنا النبي - عليه السلام - إدراكاً لأهمية «اللسان» وخطره فيقول - «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في النار سبعين خريفاً. !!

حين تناهى حاكماً، أو ظالم مكلمات كاذبة تملق بها عروره وسخطه فأنت تسقط من عين الله قورا، وتبوء بإثم هذه الكلمات.

وحيث تجمل أحداً في الباطل على حساب الحق، فإن كلماتك تتحول إلى أفعال موثقة، وخطب موثقة وحيث تطلق لسانك كالنماء في أعراض الناس وسيرهم أو تجمعهم مادة لسحرتك وتهكمك، فإنك بهذا تواخه من غضب الله وسخطه مالا طاقة لك به !!

لقد سأل رسول الله قاتلاً أرايت لو ذكرت أحداً - في غيابه - سوء هو فيه ؟؟ فأجاب صاحب الخلق العظيم - «إن ذكرته بما هو فيه فقد اغتبه.. وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته. !!

هذا هو اللسان في ضرره وخطره ..

وهذا هو ، حين يكون حادبك إلى رضوان الله، ومحنة الناس، وحين يقودك ويردك في سخط الله، وبعض الناس .. !!

إن العاقل يعقل لسانه بقدر ما معه من عقل وإن الأحمق يطلق عنانه ولحاهه بقدر ما معه من حمق .. !!

وما أكثر ما وصي رسول الله عليه الصلاة والسلام قاتلاً «أمسك عليك لسانك»

وأوصى قاتلاً «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت...»

لقد سمع - عليه السلام - صديقه العظيم «أبا بكر» رضي الله عنه، يلعب رجلاً في لحظة غضب وهو الأواه الحليم، فقال له الرسول ما هذا يا أبا بكر؟ لعاني وصديقين !!؟؟

فقال «الصديق» أسفاً ومعتذراً لا أعود لمثلها أبداً يا رسول الله !!

فيا أبناع محمد وأبناء القرآن والإسلام . تعالوا نذكر المثل الخليل الحكيم الذي صر به الله في قرآنه فقال .

﴿ أَلَمْ نَكُفِ صَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمَتْ نَاسًا وَفَرَعُهَا فِي سَمَاءٍ ۚ تُوْنَى أَكْمَلُهَا كُلُّ حَبِيٍّ بِأَدْنَى رَيْبِهَا وَيَصْرَبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ آخَنَتْ مَن فَوْقَ الْأَرْضِ مِمَّا لَهَا مَن قَرَارٍ ۝ ﴾ [سورة إبراهيم ، ٢٤ / ٢٦]

تعالوا نكن بكلماتنا الشجاعة في الحق والمعادلة في القصد والطيبة والحباية نور الحياة وعير الوحود... !!!



هذا، هو الطريق

في كلمة سابقة تحدثنا عن «الوايا» وعن دورها العظيم والمجيد في ترشيد انطاكية والعبادة وفي ترشيح المؤمن وأعماله للقبول، وللغور بما أعد الله الحان المان الكريم لصاحبي عباده عما لا عين رأت ولا أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر

ويعتد بنا الحديث لاستشرف بقية مما للوايا والخواص من جلال وجمال !!

إن الدين دأقوا حلالة الية الصالحة يتحدثوننا عن ذلك المذاق القريد !!

وما أروهم وهم يربطون طهر السرائر بحلال الحرية !!

يقول «بشر الحافي» رضي الله عنه

«من أراد أن يدوق طعم الحرية، ويستريح من العبودية، فليظهر السريرة بيده وبين الله

تعالى» . !!!

ما أوصأ هذه الكلمات، وما أحلاها وما أثارها !!

فالعبودية فعلا نجد وطها في سرائرنا، قبل أن تجده في علانيتنا ونصرفاتنا

ومن نجد أبدأ إسماً يسلك مسالك الدلة والخسوع ويتصرف تصرف العبيد إلا إذا كانت

سريرته قد تحولت إلى مائدة من الهوى والعرض والأناسة والتناق

أي أن "السريرة" حلت من مشاعر الاعتداد والرفع والعظمة، في نفس الوقت الذي حلت فيه من الوب الصالحة، والبواعث الشريفة ثم حين امتلأت بمهوية الوايا الرديئة، والبواعث المتهافتة الدليلة !! هكذا وجد العارفون الصالحون المعنى الحقيقي للحرية وسهلوا من رحيقها المحتوم..

عرفوا أنهم أحرار بقدر ما يجرون بواظهم، وسرائرهم، وبواعثهم من أعراض النفس، وأمرص للنفس، والتهالك المتدل، والطمع الرخيص !!

وأحرار بقدر ما يظهر بواظهم وسرائرهم من العاق والخوف والإمعة وذلك كله يعني في التحليل النهائي له أن شحراً أنفساً وسرائرنا بأطيب البواعث وأكرم الوايا.

ورداً بحسب طمرنا بهذا النوع المجيد والظهور من الوايا الصالحة وحداً نفس في نفس المحطة وليس السبب رباني، ومستجيب لقول رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم «تخلقوا بأخلاق الله.. إن ربي على صراط مستقيم»... !!

إن الناس يحيلون الحياة إلى عانة، لأنهم يحملون طائع وحوش العانة . وهذه الطوائع أنجتها الوايا الخيثة والبواعث المتوحشة التي تركوها تعشش في سرائرهم وضرائرهم، فأفرزت لهم عادات شرسة وقبيحة أسوأ لها عيلاً، وأسوأ لها وقوداً.. !!

وما أحمل وأذكرى قول «الشعبي» رضي الله عنه..

«تعاش الناس بالدين رماً طويلاً، حتى ذهب الدين من نفوسهم

ثم تعاشوا بالمروءة، حتى ذهبت المروءة.

ثم تعاشوا بالحياء، حتى ذهب الحياء..

«وهم الآن يتعاشون بالرغبة.. والرغبة !!»

«وسبأني بعد هذا ما هو شر منه» .. !!!

قال هذا قل قرون حلت فكيف الحال بعد هاتيك القرون؟؟

إلا أنه لا خير يرجى من طوى نفسه وجوانحه وسرائره على نوايا النؤم وانفساد

إنه بطول معاشته هذه النوايا يتحول إلى «عاهة»..

بل قولوا: يتحول إلى «وباء» .

من هنا جاء اهتمام القرآن واهتمام الرسول بالنوايا الطاهرة، والواعث لطيفة لتسامية!!
لقد كان سلف الصالح يعلمون تحرير نواياهم وبواعثهم متعباً بعيداً من التحرد لله
وسحق، وبخير . كانت بيئاتهم المحررة والمطهرة ترفعهم إلى المقام العريد والعيد . مقام
التحرد لله، وفي الله.

وكانوا يرسمون حدود هذا التحرد بقولهم «ألا يبقى لك منك شيء»!!

وبحر لا تطمع في أن ترقى رقيهم، ولا أن تتوكل عليهم، ولا أن تنزل مبارهم

ولكن ذلك لا يعفياً أبداً من ألا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . لا يعفياً أبداً من
صروده حثاث النوايا وليدة الهوى والصمغ والخمد من سرائرها ثم ملء هذه السرائر
بأسوأ الشريعة، لتفقه النقية الورعة إدلى نكون مؤمنين حقاً بل ولا مسدمين حقاً إلا إذا
أحررنا هذا البصر في معركتنا مع الشيطان، ومع معربات الباطل، وإفك الصلال

ألا فليصح أنصارنا وبصائرنا على حكمة هذا الدعاء الذي كان رسولنا الكريم يردده دائماً
ويرطب به لسانه آباء الليل، وأطراف النهار «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»

فالقلب هو مستودع النوايا والحرمان وثبات القلب على الدين، يعني انشأت نوايا
أولاً وبالنوايا ثانياً وبالأعمال ثالثاً على كل ما جاء به هذا الدين من عطائهم، ومكارم
وشعائهم وهدى وبور..

هنا النجاء.. وهنا الخلاص..

وهذا هو الطريق...!!



واذكروه كما هداكم

كانت السيدة النقة الورعة رابعة العدوية تقول استعمارنا يحتاج إلى استعمار.

كانت تقول ذلك، وهي التي قالت من قل :

ليس لي في الخيانة والنار حظ ألا أنتقي سري بسديلا

أي أنها قالت ذلك، بعد أن وصلت في معارج الروح والنفس إلى أعالي مراقبها

قالت: استعمارنا يحتاج إلى استعمار

فماذا نقول نحن - أنا وأنت والآخرين..

كل الذين عرفوا الله حق معرفته، وقدروه حق قدره كانوا على هذا السبط الربيع من

التعامل مع الكبير المتعال .

حتى قال أحدهم، ولعله الشيخ «أبو مدين» :

"كلما عظم المطلوب في قلبك، صغرت بعسك عندك، وتضاءل الجهد الذي تبذله في تحصيله وكلياً شهدت حقيقة «الربوبية» وحقيقة «العبودية» وعرفت «الله» وعرفت "انفس"، وتبين لك أن ما معك من بصاعة، وما تقدم من طاعة، لا يصلحان لتمتد الحق وإياها بتقصه بكرمه، وبحوده، وتنقصه كما يشبك عليه بكرمه، وجوده، وتفصله"

بحسب إذن ليس أهلاً، ولن يكون قط أهلاً للنس على الله

﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْنِمَاتِ أُنَاسُ لَا تَحْصُوا عَلَىٰ إِسْمَاعِيلَ ۖ اللَّهُ يَمُشُ عَلَيْكُمْ وَأُنَاسُ هُمْ لِلْإِنسِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .. [الحجرات : ١٧]

كل نعمة معك ، فهي عطاء من الله لك حتى عبادتك مهما تستقم طريققتها، وتبلغ دروسها فهي نعمة ونوفير وتفضل شكرها الواجب أن تعترف بمصدرها وماتجها وتقول - في خشوع وطموى - ما علما الله سبحانه وتعالى أن يقول في هذا الموطر ﴿ وَقُلُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف ٤٣]

بقول " أهل الله " إن أرباب العزم والبصائر أشد ما يكونون استعصاراً في أعقاب لطاعات..!!

ويوضح الامام «اس القيم» هذا المخرج الروحي والفكري، فيقول «لقد أمر الله تعالى وهدى وحجج بينه أن يستعصروه عقب إفاصتهم من عرفات، وهو أحل المواقف وأفضلها، فقال عز وجل ﴿ فَمَنْ أَفْضَلُ مِمَّنْ عَرَفْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمُشْجَرِ الْخَرَامِ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَتْلِهِ لَمَنِ تَصَالِحِينَ ﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة ١٩٨، ١٩٩]

وقد تعالى ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالشَّجَرِ ﴾ [آل عمران ١٧] قال «الحسن» مدوا الصلاة إلى لسحر ثم جلسوا يستعصرون «الله» عز وجل

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم في الصلاة استعمر الله ثلاثاً ثم قال اللهم انت السلام ومنك السلام تدرجت يا ذا الجلال والإكرام

وأمره الله سبحانه وتعالى بالاستعمار بعد أداء الرسالة، والقيام بها عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج، واقترب أحبه، فقال سبحانه في آخر سورة أزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ورأيت الناس يذخرون في دين الله أفواجا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر]

هكذا يؤدب العظيم الزهاد عباده المؤمنين بأن يسعوا الطاعات والعبادات باستعمارهم سبحانه استعماراً يعوض العبادة عما عسى أن يكون قد نسيها من عفة، أو رهو أو تقصير غير محسوس ولا مطور كما يذكر العابد بحقيقة عبوديته، وبأنه أسير نعمة الله عليه، وبأنه كما قال من قبل الصحابي الجليل عذافة بن رواحة :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنه لا يحيط العمل الصالح شيء مثل أن ترى نفسك فيه وأن تلاحظ حاله جهلك الذي مفصلاً عن عون الله ونعمته وهذله.

من أجل ذلك نراه سبحانه بضمن أمره لنا بذكره تذكيره إيانا بأنه الموفق والهادي والمعين فيقول حل حلاله ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ﴾ [القرة ١٩٨]

إذن فهو - أولاً - الذي هدايا وهدايته هذه يصح مؤهلين لذكره ثم بتوبيقه ويعونه بأخذ مكانا بين الذاكرين والعابدين..

أليس هذا ما تعبى الآية الكريمة التي مرددها صباح مساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ وَسْتَغْفِرْ لِنَفْسِكَ﴾ [العنفة: ٥].

ويقول سي الله «داود» عليه السلام يا رب كيف أشكرك؟؟ وشكري لك نعمه منك نستوجب شكراً آخر...؟! "

هذا منطق العارفين وهذا مقامهم.

هؤلاء الذين يدكرون الله كما هداهم فكان شكرهم له - سبحانه - إسماء هو تحية طهده أيامهم .. والترقى من كل حول لهم وطول ..

وقوله سبحانه ﴿وَذَكِّرْهُمْ كَمَا هَدَيْتَهُمْ﴾ [القرة ١٩٨] يرسم الحد العاصل بين الهدى والاهتداء ..

فالهدى عطاء الله والاهتداء سعى العبد ومن ثم يجيء الاهتداء بعد الهدى، لأنه ثمرته ونتاجه ..

ومن ثم أيضاً، يحمل عمل المسلم وعيادته من سمات الصلاح والقبول بقدر ما يحمله قلبه من المعرفة الصادقة بالله . ورؤية النعم جميعاً بما فيها الهداية والسك والعادة من خلال المعنى الوهاب .. لا من خلال عمل الإنسان مهما يكن حظه في أن يطيع ويعبد ويسب.

حتى نبعث رسولا ..

لما كان الله سبحانه وتعالى، لم يخلق عباده عبثاً فكانت حكمته وعدله يقتضيان ألا يتركهم سدى فأرسل إليهم رسلاً، وبرل عليهم كتبه عرفهم الخير من الشر، والحق من لصال ثم وعد الصادقين برصوايه، ونوعد المفسدين بعقابه^{١١} وحلّل ذلك سحر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً مه ووطأهم أكاف كل شيء. وجعل الإنسان سيد كوكبه الذي يعيش فوقه وأعطاه رمام تسييره، ورمم مصيره...!!

ومن فيمن رحمته قال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾!! [الإسراء ١٧] ولم يفحى الأقوام من الشر يرسل من الملائكة، حيث لا يستطيعون لهم فهما، ولا يستطيعون تحقيق النقوة هم. إذ شتان من خلق من نور ومن خلق من طين!! هذلك اصطفى سبحانه رسله إلى الناس من ذوات الناس يأكلون مما يأكلون .

(*) "الشمس" لعدد السبع والعشرون - الب ٢٤ - ٣٠٠ ذو القعدة ١٤٠ هـ - ١٠ ١٦ أعطى

ويدنسونه مما يلدسون يردسون، ويعصونه ويمشونه في الأسواق ثم نحلى عليهم في عدله المطلق فقال عمر وحل ﴿وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَعْتِزَّ بِرُؤُسِهِمْ﴾ [الإسراء ١٥] ﴿رُؤُسًا مُبْشِرِينَ وَمُذَرِّبِينَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء ١٦٥] عندما سمع أعرابي قارئ يتلو قول الله سبحانه ﴿فَوَرَبِّ السَّيِّئِينَ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يُخَوِّفُ مَتَى يَكُومُ النَّاسُ لَصَاقَتِهِمْ﴾ [الذاريات ٢٣] وقع معنيا عليه وهو يصيح يا ويلت من أعضب الخبار حتى يقسم ١١٩..

وما كان أحرأه أن يشهون شهقة أخرى، حين يسمع قول الله سبحانه ﴿بَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء ١٦٥] فمن ذا الذي يملك مع الله حسنا أو عتاما. ١٢

ومن ذا الذي يرفع في وجه الله حجة يحتج بها عليه، أو يساوم بها بين يديه ١٣
لكنه مع ذلك برل عدله إلى مستوى عباده، أو فلتقل رفع عباده إلى مستوى عدله، مفرص هم الحق في أن محتجوا حين يتركون ملا هداة يدعونه إلى سواء السبيل !!
حتى إذا ساء لهم يوم القيامة - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ١٤ [الملك ٨] يأيهم اخواب
الحارم والعدل ﴿فَسَخَقْنَا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٥ [الملك ١١] ﴿وَمَظْهَرْتُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ كَاطِمِينَ﴾ ١٦ [الرحم ٧٦] إن رسل الله يستمدون منهم في الإجلال والتوفير، وفي الطاعة والولاء من خلال العلى الكبير الذي أرسلهم بوراً وهدى للناس

والإعراض عنهم، إعراض عن الله والشعب عليهم لا يحىء إلا من الدين لا يرحون لله وقاراً من أجل ذلك يفهم الله الحبيب الرقيب بين يديه يوم القيامة، ملقياً عليهم هذا السؤال: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانَ بِذِكْرٍ رُؤُسًا مَكَّةً يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ، يَتَنَبَّأُ وَيُذَكِّرُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ١٧ [الأنعام ١٣٠] فإذا معهم يومئذ من قول بدرأون به عن أنفسهم معة لتقصير

أيكرونها؟ ولكن أمام من؟

هناك يحىء جوابهم المعلن من خلال ندمهم المجتر:

﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ نَفْسِنَا وَعَرْشِهِمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام ١٣٠] وهكذا قاله - إبن - بحاكمهم إلى أنفسهم !! وعن البرعم من أنه - سبحانه وتعالى - لا يستل عما يعمل فإنه لا يحاسب الناس بهذا السلطان المطلق، ولا يجازيهم بوضعهم ﴿ قَالَ لَمَّا يُرِيدُ ﴾ [الروح ١٦] بل يؤاخذهم بمسطق المفطرة التي رووهم بها، وجعلها "الوصلة" التي تحدد لهم طريق المرسلين !! وحتى لو حسبهم من مطلق أنه لا يستل عما يعمل لما أدركهم منه أدنى قدر من الخيف والظلم..

دلت أنه لم يختص بعبه هذا السلطان المطلق تحيياً، ولا علواً، بل استحق هذا السلطان لكلال حكمته، وعلمه، وترهه المطلق عن أي عرص، أو حلل، أو عث، أو رعه في الاستقام. فلقد صدق - سبحانه - إذ يقول لعاده ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَ مَسْمُومٌ ﴾ [النساء: ١٤٧] .. ؟!

وإذن فالرسل هم الميران .. والسعداء ما هم الذين لا يطعمون في الميران !!
وإذن فهم، دون سواهم - حجة الله على عباده. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" .. ولكل امرئ حسابه - ثواباً أو عقاباً.

ولقد هدى الرسل المرسلين إليهم إلى حير ديباهم وأحراهم "فماذا بعد الحق إلا الصلال؟!

ولو أن "الله سبحانه كان قد ترك الناس لعطرتهم، وعقولهم، لكذبوا ملرمين عن طريقهم بمعرفة الله من خلال آياته في الآفاق وفي أنفسهم ..

لكنه مع ذلك أمدهم - مع المفطرة والعقل - بحبر ما اصطفى واحتس من رسله الهديين، وأبياته المعلمين...!!

ولقد حتم الله رسله سيدنا "محمد" ليكون حجة الله "الخاتمة".

وعمره الله بفصله، فقدر لنا أن نكون معه شهداء على الناس...!!

انظرونا ، نقبِس من نوركم !!!

ما أحسب أن ثمة نعمة تفوق نعمة النور الذي يودعه "الله سبحانه" قلوب المؤمنين وأئمة العارفين .

وما كان عشت تكرار هذا الدعاء على لسان "الرسول" صلى الله عليه وسلم
 "اللهم اجعل في قلبي نوراً واجعل لي منك نوراً"!! وما بشر الله عبده الصالحين
 بأفصل من هذه الشرى حين قال - سبحانه - عنهم ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَينَ يَدَيْهِمْ ﴾ [التحریم : ٨]

ثم حين صورهم، وصور مكانتهم يوم تدهل كل مرصعة عما أرصعت، وتضع كل
 دات حمل حمها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد !!
 يوم تتعثر حطى الظالمين في ظلمات ما أركسوا فيه، يوم كانوا في ديارهم لا يعرفون لهم
 رياً.. ولا يوقدون في قلوبهم المعتمة شمعة ..!!!

والآن وقد جاءهم ما كانوا يوعدون فإسهم راحوا يتحطون في ظلمات من فوقها

طلحات يقولون ﴿يَلَيْتُنَا أَطْعَمَا اللَّهُ وَأَطْعَمَا الرُّسُلَا﴾ [الأحزاب ٦٦] يومئذ، وهم في حلقة اليأس، وصلاح النفس، وحبية الأمل يجرون مهطعين ومسرعين وراء "الفاديل" الإلهية وراء الأصواء الماهرة المتألعة على حياء الدين كانوا من قبل هم يستهترون !!

يلهثون وراء النور المسعث من أهله الدين استحيوا الله، وللرسول ويصرحون من حروف الطلمات، ماديي حملة النور في قلوبهم، وعن أيهامهم وعن شمائهم - ﴿أَصْرُونَ بَقْتِسَنَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣] فتصنع وجوههم الماسرة هذه الكلمات الساحرة ﴿زَجَعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمَسُوا نُورًا﴾ !! (الحديد ١٣)

وهل لهم يومئذ "وراء" يرجعون إليه ؟

وهل ينوي - اليوم - أحد على أحد في هذا الطريق ؟؟ وهل يلتمس - اليوم - رفيق إلى رفيق ؟؟؟

ويبادون الدين بجوا أيهامهم، واستصاءوا سورهم - ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ قُلُوبًا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ !! [الحديد ١٤] وعالمًا ما سيكون هؤلاء المكفثون في الطلمات من المافقين !! يقول "حديثه" رضي الله عنه، وقد سمع من يدعو ويقول - اللهم أهدك المافقين .
«يا ابن أخي لو هلك المافقون لاستوحشتهم في طرقاتهم من قلة السالكين» !!.

ويقول آخر من العارفين "لو خلق الله للمافقين ديولاً وأدياناً - ما وجد الناس أرضاً يمشون عليها..!!

وانساق هو الطلمات التي تحتال المافقين يوم القيامة، وهو حزاء من جس العمل !!
لأن الوصوح نور - وهم قد عاشوا حياتهم بافرين من الوصوح متسدين أمام الناس في أرياء نكرية وأقعة كادبة مستحفين وراء أسوار من الظلام ليس لها بواقد ولا أبواب !!
وما أصدق ما وصفهم به «الإمام ابن القيم» رضي الله عنه حين قال

"إذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية وإذا سمعوا الباطل كانت آذانهم واعية ..

"إذا عاهدوا، لم يفوا . وإن وعدوا، أحلهموا وإن قالوا، لم يصصوا وإن دعوا إلى الحق، وقفوا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أمر الله، وإلى الرسول، أعرصوا وصدفوا".
كان أحد أصحاب الرسول يقول في دعائه - "اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق!!

ولما مثل وما خشوع النفاق ؟؟ قال أن يرى البدن حاشعاً، والقلب ليس بحاشع وهكذا المفقون تماماً * تعجبك أحسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم!!
أفيحق هؤلاء الذين يداهون كل صاحب سلطة وكل ذي ثراء عريض أو جاء مقبض أن يكون معهم نور..؟؟

وإني لهم ذلك وقد مردوا على عيش الظلام ؟ !
أبى لهم ذلك، وإهم ليكتفون الحق وهم يعلمون .؟؟
وهل ستبدهم شيئاً، أصواتهم النائحة، والباحة يوم تلى السرائر ؟؟ وإداهم يادون الساترين في موكب السور ﴿ أَنْظِرُونَا بَقْتَسْنِ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ١١٩ [الحديد ١٣] وهل يملك الآخرون أن يقسوهم شيئاً من أنوارهم ، ؟؟
أبداً، لا يملكون فالأمر يومئذ لله، ولكن المنافقين لا يعلمون!!

عندما يفرح الله !!

لا أظن أن أحدا من المرسلين - عليهم صلاة ربنا وسلامه - قد صمغ علاقة الإنسان

بالله بعطر الحب، والرحاء، والأمل، مثلما فعل «سليمان محمد» صلى الله عليه وسلم

وقد صدق فعله قوله حين قال: «إنما أنا رحمة مهداة»!!

لكأنه كان بأحاديثه وتوجيهاته ولفقاته الذكية يرى ذروة مسئوليته في أن يعملأ قلوب
العباد بحب الله، وبإحسان الطين به سبحانه، وألا يقنطوا من رحمته، ولا ييأسوا من
روحه. وكان يتنهر المأسات ليحدث أصحابه، وليحدث معهم الأجيال جميعاً عن رحمة
الله وحنانه وشوقه إلى العائنين من عباده أولئك الذين احتالتهم شياطين الإيس والحس،
وسرقتهم من رحاب الله..!!

ذات يوم، وهو يعبر شوارع المدينة يحف به بحر كريم من أصحابه، رأى أما تختصن
رصيعها في قبض من الحنان والحب وانهرجت أساريره عن انتسامة كهواء الصجر

وقد لأصحابه الخافين حوله وهو بشر بيده نحو الأم العاشقة "أترون هذه صارحة ولدها في النار..!!

قلوا: أبدا يا رسول الله..

قل "والذي نفسي بيده الله أرحم بعبده المؤمن، من هذه بولدها" !!

في هذا المشهد الذي لا يخفى إلى وسائل إيضاح انتهر الرسول المناسبة ليصور في أصدق وأليق صورة رحمة الله ذي الحلال والإكرام وهي صورة لا تملأ الأفئدة أملا في هذه الرحمة وحسب، بل تركها معمة بحب كبير لهذا "الرب" المميص عطاؤه. والعذقة بعطاؤه..!!

وهكذا، كان التيسير، لا التعسير والتشجيع لا التثوير وصيته اخائية التي يوصي بها أصحابه جميعاً!!

كان يدرك - في رؤية ثاقبة - يؤس الإنسان كما يدرك عظمته !!

كان يعلم أن هذا الذي استحلعه الله في الأرض فصار هذا الاستحلاف عطيماً يواجه من الآلام والمشقات والأهوال، ما يجعله بائساً..!!

فهو في آن واحد - "البائس العظيم"..!!

ومن ثم فقد أخذ الرسول على عاتقه مسئولية الشئ المستمر لمحبة الله، ورحمته وسره، وحبانه وإد، كان سمر التكوين في العهد القديم - التوراة - يبدأ قصة الخلق بأن الله بعد أن خلق آدم وراه يمشي بين يديه متحترماً مرهواً، عاد وبدم على خلقه !!

أقول إذ كان هذا هو شأن الإنسان عند التوراة، أو عند الذين كتبوها، فإن له شأن آخر عند الإسلام - قرآنه، ورسوله -

شأننا يورثه الدرجات العل..

وحسنه في هذا المقام أنه مصدر فرح لله !!!

فيروي الإمامان الجليلان - البخاري ومسلم - عن "أنس بن مالك" رضي الله عنه،

عن ابي صلي الله عليه وسلم قال «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، كان على راحلة بأرض فلاة، فاعلمت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها . فأتى شجرة فاصطلم في ظلها، فدأب من راحلته . فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بحطائها، ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبيدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» !!

فإنه إذا يفرح بنا، ويشرح قلبه لنا . أهالك بعد هذا دليل على مكنة الإنسان ومرلته عند الله..!!

تري كم يكون خطا من اللؤم والصعة والحدود، إذا نحن صسا على الله بهذا «الفرح» الذي يترقه منا، ويرصيه عنا .^{١٩} عندما يطرق أحدا أبواب الله بالتوبة الوادعة، والصارعة، تهر سدرة المنتهى عظمه وانتشاء معلمة عوده التائه إلى دلبه، والعائب إلى داره . ويهرح الله - كما قال الرسول - بالوافد الحديد، وبالصيف الحرير والمجيد، فرحاً لا تطاوله كل أفرح الدنيا، وأفرح الناس، وأفرح الحياة !!

فإنه الذي سفت رحمته عضه، وحلمه عقوبه، وعفوه مؤاخذه

الله الذي كل الفصل بيده . وكل الخير منه . وكل الحدود له

الله الذي يبادبنا في حان رطب ودود، فيقول ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ بَعْثِكُمْ فِي شُكْرٍ وَءَامِنْتُمْ ﴾^{١٩} [سواء ١٤٧] والذي يقول «من أتاني بمشي أئبته هرولة» !!

هذا الإله العظيم والكبير الذي يوسعنا فصلا، ويمرنا إحساناً وحوذاً . ينتظر على شوق، ويدوي يساء مداء ملائكته - من العائد إلى البيت^{١٢٢}

أهل.. من العائد إلى البيت ..!!

من يستمتع الباب، فيفتح له .؟؟

من يفرح الله بتوبته وعودته ..!!

اللهم اجعلنا من التوابين ومن العائدين..

الله أعلى وأجل

حين سى الرماة "يوم أحد" أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ألا يعددوا موافعهم، وبرلوا مهطعين إلى ساحة القتال بعد أن رأوا جيش الشرك سترج ويولى الأدبار. تعمى طهر المسلمين من شطر الجبل، ورأى هرسان قريش نعمة لاحية يستطيعون مهاجمة المسلمين منها بما ليس في حسابهم وفعلا، تعدت الخطة سجاح، وفوحى المسلمون بصرية ماعنة وشرسة ردت ميران النصر إلى وراء. إد حوصروا بين العرب من حلف والمشاة الدين جمعوا شتتهم وعادوا إلى أرض المعركة يجاهونهم من أمام.

و ستؤلف القتال في صراوة لاهثة وبأس شديد، وواجه المسلمون محنة قاسية ورهبة ولا أقول هزيمة لأنه لم يحدث قط أن هرم المسلمون في قتال كان قائدهم فيه الرسول العظيم هكذا يعلمنا "مولاي محمد على" انفيلسوف اهدي المسلم رضي الله عنه وأرضاه

فهو يرفض اعتباره ما حدث في عرة "أحد" هريمة وبراءة محمد محبة ويقول إنه بكل تقدير عسكري لا نجد أنفساً أمام هريمة

وحين انقش المعادي لم يحمل شراً واحداً من أرض الدولة المسلمة ولم يدخل عاصمتها ولم يأسر أسيراً واحداً ولم يجهر على القيادة المسلمة بل ولم يقتل من المسلمين أكثر من قتل المسلمين من ثم ولي الأديار وأمعن في الحرب حين وجد المسلمين يهرولون وراءه فأبى هي الهريمة؟ إن المسلمين لم يهرموا أبداً في أي عروة قد هم فيها ساهم وصدق "مولاي محمد علي" وحراء الله حيراً

هذه لغته عرت حاطري، سد أنها ليست موضوع هذا المقال

أما «موضوعه» فأني في حتام ما حدث يوم «أحد» العظيم

دلت أن قائد جيش الشراك يومئذ «أنا سعيان» وقف مرهواً بصره الرخص، ونادى بأعلى صوته «اعل هل» - بصم اهاه وفتح الباء ونادى الرسول عليه السلام أصحابه أحييوا، وقولوا: «الله أعلى وأجل».

ذكرت هذا الموقف، وهذا الخفاف العلوي - ودائماً أذكرهما - كلما أفقت من عسوة حواطري حين أديرها حول أمتنا العربية والإسلامية حيث يقضم سمعي بعيق قادم من قريب ومن بعيد، يقول: «اعل هل» وأكاد أكذب سمعي فأرسل البصر كرتين صوت مصادر هذا البعيق القادم. فأرى العربان السود تملأ الرمان والمكان

في كل بلد من بلاد - إلا من رحم ربك - "هل" يتعد الناس، ويستعدهم.. ويقول لهم: «ما علمت لكم من إله غيري».

ويسأهم ما حاحتكم إلى إله بعدي؟ أستم ترحوون إلهاً يرزقكم، ويرفعكم، ويحييكم ونحافون إلهاً يفرككم، ويضعكم، ويميتكم؟ فهأنذا أفعل - أعني وأقرر. أرفع وأضع، أحيي وأميت

مشاقي مصونة. وعظاياي موهوبة ودور الصياغة التي يسميها حصومي سجوناً

ومعتقلات، مفتحة الأبواب، واسعة الرحاب، شهية الرصاب.

في ذا ترجون بعد، وإلام تطمحون؟

ويصغي قطيع المافقين والمنتمعين والمجرمين لهذا التمجيد، فيصيحون في مثل هين الحمير، ونعيق الغربان: "اعل هيل".

فيتنفس "هيل" نيبها ومرهواً وثملاً شبيد القطيع!! ويرداد في الأرض علوه وفساده!!

الله يلعلك، يا كل "هيل" في ديار العرب وفي بلاد الإسلام

الله يلعل رحسك ويصى بأسك ويقصم ظهرك ويذهب ربحك ويسوى بالتراب قدرك ويجعلك عرة لمن أراد أن يتذكر أو يحشى

فليعق ماففوك تتمحيدك . ولعو ألسنتهم الكادية الخاطئة ولتلعق حذاءك الدس

نهرنا ورنهى أوهاقاً وحوفاً فيما أنت إلا صم مهين

ومهما يرتفع هين صانعتك "اعل هيل" فهناك الملايين تصدح بقول سبها العظيم «الله أعلى وأجل»

ويا كل «هيل» عره حلم الله، ومصابرة الشعب، أمامك يوم أسود من قلبك، وأنت من ضميرك، وأفسى عليك من يغيك على الناس

وللشعب - كل الشعب - يوم فتح قريب يكت فيه هله وصحه بأطراف أصابعه، ويهيله تراب تحت أقدامه، وهو يردد قول الكبير المتعال ﴿ تَجَاء لَحِقُّ زَهْقُ الْبَطْنِ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

ورضوا من الله أكبر

عندما تحدث الله عن عبادته المؤمنين قائلا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [

النبي ٨] كان هذه الكلمات يرفعهم إلى أعلى مكانة ومكان

فمن نحن حتى نرضى عنه...؟!

حين يرضى سبحانه عنا، فذاك تفصل منه وإحسان ولكن أن يرضى نحن عنه، ثم يقدر ويشكر هذا الرضاء فالأمر مختلف جداً!! حتى ليبدو وكأنه يتعاطم كل فهم وإدراك..

ألا هي لا أعرف آية أو حديثاً يرفعان قدر الإنسان كما ترفعه وتوثقه هاتان الكلمتان "ورضوا عنه"!!..

وبقد سبق العارمون بالله الخلق جميعاً إلى إدراك ما تستثمره الآية الكريمة من معنى وعطاء فوقهم أمام الله، بل جنوا بين يديه عرايا من كل حول لهم وطول، بل وعرايا من كل احتير!! حتى قال قائلهم، وكأنه يتمثل المولى سبحانه يقول

لا تدبر لك أمراً

فأولو التدبير هلكت

حقق الأمر نجدنا

نحن أولى بك منك !!

وهو طمعاً وقطعاً لا يدعونا إلى تجنب الأسباب، ولا إلى معارضة السس التي جعلها الله قوايين نظم الحياة - إما هو يجربنا أن هناك فوق سبع سماوات، من استوى على العرش، وكل مقدير الحياة مطويات بيمينه - وأن الذين يخرحونه من الحساب، يحطون الحساب !! وأن ذكء الإنسان إذا عمل بعداً عن توفيق الله وعونه، كان كالمست، لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى

وإذا العباية لاحظتك عيوبها - م، فالمحاور كلها أمان
كان أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم، يكثر من هذا الدعاء: "اللهم خز لي واحتر لي. اللهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير" !!..

ومثل هذا الدعاء يقترب من معنى: "ورضوا عنه" ..

فالرضا عن الله، يعني في جوهره وحقيقته أن تقف مع اختيار الله لك حتى ترى نعمه عليك فيما تكره، أكثر وأعظم من نعمه عليك فيما تحب !!
وأصحاب هذا المقام هم الذين ينادى الله أنفسهم

﴿يٰٓأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبْدِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۖ﴾ [المجر ٢٧ - ٣٠]

انظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يباحي ربه فيقول

"ماضي في حكمك.. عدل في قصارك" !!

ما أعدها، وما أرطها، وما أطبها من كلمات !! لقد اجتمع ذات يوم من كبار علماء و"صالحين" - هم - وهيب بن الورد، وسفيان الثوري، ويوسف بن أسباط قال الثوري لقد كنت أكره موت المجاعة قبل اليوم أما الآن فوددت أن يميت، لما

أنحرف من العتة

وقال يوسف بن أسباط أما أنا فلا أكره طول السماء

قال الثوري. ولم تكره الموت؟

قال ' لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صالحاً

كل هذا، وصاحبهم وهيب بن الورد، صامت لا يلقي في الحوار برأي مما جعلهم يتجهون إليه بهذا السؤال: أي شيء تقول أنت؟؟ فأجاب أنا لا أختار شيئاً فأحب ذلك إلى ، أحبه إلى الله..!!

فقله الإمام الثوري بين عبيده وقال: "روحانية ورب الكعبة..

فإذا رصيت قضاء الله لك ساء لك هذا القضاء أو مترك - فأت هذا وهذا تكون من الذين قال الله فيهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

ورضوان الله أكبر من كل مثوبة وكل نعيم. ولتقرأ الآية الكريمة من أولها: ﴿وَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يُؤْسَبْ حَسْبُ نَجْرِي مِنْ حَنْهَا الْأَنْهَارُ حُلْدِي فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيْبٌ فِي حَسْبِ عَذْرٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة ٧٢]

فمن يطلع ما هذه المزية. الرضا من الله، والرضا عن الله فقد أوتى الحكم والخير، والملاح

وما أصدق قول "رابعة العدوية" رضي الله عنها إذ تقول "إن أولياء الله هم أَرْضِي عَنْهُ مَنْ أَنْ يَسْأَلُوهُ لِأَنفُسِهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ لَهُمْ" !!

ولعلها استلظت هذه الحكمة الباعية من قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله يحكمته قد جعل الروح والمرح في الرضا واليقين.. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" ..

فيا من ترجون لقاء الله، وتودون رضوانه الأكبر

ارضوا عنه .. وارضوا به .. واتخلوه وكيلاً..!!

وكونوا عباد الله إخوانا

هكذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - داعيا إلى الوفاق والسلام بين الناس

كافة، وبين المسلمين خاصة.

وبالأحوة في مهج "أبى عبد الله" مكانها الأعلى وتعماتها العظمي !!

فالمسلم أخو المسلم - لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره - وهو عون له وليس عون عليه

هو يستر عورته . ويقبل عثرته . ويصل معذرتة . ويكون له كروح الربيع !!

لا يتلمس له العيب . ولا يترصص به تربص الأفعى لا يعاته، ولا يرتاه . ولا يصح

عليه بالكلمة الطيبة يقولها، في غيابه كما في حضوره.

ولا بد مساعدة في سرائه وصرائه . بفرح لحاحه وأفراحه . وبأسى لإحراقه

وأفراحه..

وبعارة واحدة، يرى فيه أحباء الذي لم تلده أمه...!!

ويسر هناك ما يكشف في المسلم سلامه إسلامه مثل علاقته الباطنة والمعدنة بإخوانه...!!

وكلما ارتقى المؤمن، وامتلك من رفعة النفس وجمال الخلق نصيبا موفورا كلما وجدته صافي الأحوه بيل الصداقة لا تجاه من يعرفهم فحسب، بل تجاه إخوانه - كل إخوانه - في الدين والعقيدة.

وهكذا يري أهل الناس أحوه وأصدقهم مودة وأعلامهم كما في مجال الإحاء - هم «العارفون بالله» من أوليائه الكبار.

• أولئك الذين قال قائلهم وهو "السري السقطي" رضي الله عنه - "لا تتم المحبة بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر يا... أنا" !!!

• ويقول قائلهم وهو "محمد الباقر" رضي الله عنه "هل ندخل أحدكم بيده في حبيب أخيه فيأخذ ما يريد" ... ؟

قالوا لا. لم يسلح هذه الدرجة بعد. قال. إذن فليست إخوانا كما ترعمون ... !!!

• ويقول قائلهم، وهو "ميمون بن مهران" رضي الله عنه - "ما يدعي عن أحد مساءة إلا كان إسقاطها عنه، أحب إلي من تحقيقها عليه وإن قال معتدرا - "م أقس" . كان ذلك أحب إلي من نهاية شهود يشهدون عليه" !!

• ويقول قائلهم وهو "بكر بن عبد الله المري" - "لو قيل لي حديد حير أهل المسجد، لقلت دلو علي أنصحبهم للناس ولو قيل لي حديد شرهم وأسوئهم لقلت دلو علي أعشهم للناس" !!

• ويقول قائلهم وهو "عروة بن الرير" رضي الله عنه "لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك سطا تكن أحب إلي الناس ممن يعمرهم بالعطاء" !!

من أين نهلوا هذه الحكمة وتعلموا هذا السلوك...؟؟

من سيدهم وسيدنا رسول الله الذي لا يعرف أن أحدا غيره من المرسلين، قال الله له

﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقِ عَظِيمٍ﴾ ١١..

صحيح أنهم جميعا - عليهم صلوات الله وسلامه - كانوا يحكم احشاء الله لهم واصطفائه إيهم في الدروة من مكارم الأخلاق ولكن أن يجعل الله سبحانه من دانه شهدا على عظمة الأخلاق ومسحلا شهادته وتركبته في قرآن يتلى إلى يوم القيامة فذلك فصل يختص به خاتم الأنبياء .

وبعد نعلم أن الخير في هذه الحياة قلما يجيء حالصا لا يشوبه سوء، ونعلم أن كل من آدم خطاءون وهنا تستبين حقيقة الأخوة وصدقها

وحيث نادانا القرآن العظيم قائلا : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْأَحْسَهُ وَلَا السَّيِّئَةُ دَفَعُ بَيْنِي هِيَ الْأَحْسَهُ﴾ [فصلت : ٣٤٠]

كان يدعونا بهد إلى المسوى الذي نكون فيه إخوانا ودعاء أصفياء ومساكين رحماء فإذا أنت لم تحسن في معاملتك مع إخوانك إلا لم يحسن إليك فربك لا بأسى أمرا مذكورا

وهذه الحقيقة أيضا فهمها وأدركها العارفون

يقول "إبراهيم التيمي" رضى الله عنه - "إن الرجل ليظلمني فأرحمه"

ويقول "محمد السافر" رضى الله عنه - إذا طللت ندعو على من ظلمك ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول لك : "هناك آخر يدعو عليك فإن شئت استجب لك ، واستجب فيك .. وإن شئت وسعكها عهوى يوم القيامة"

بالروعة الكلمات ١١..

حتى إذا ظلمك أحوك يجب أن تظل أنت مستمسكا بقاء الإحاء

ألا إن أدب الإسلام في محال الأخوة والصداقة لفريد ومجيد ، لا ريب في أن التكر لهذا المهج الخلقى الرفيع يشكل حاسا كبيرا من محبة المسلمين اليوم

والعلاقات الإسلامية بل والإنسانية بسا كأفراد وبسا كجماعات وبسا كدول
وحكومات تفسر أزمة العالم الإسلامي كله

في كل أمة من أمم هذا العالم بتبعث "أشقاها"

وكل دولة تتلمظ بالأحرى وكل جماعة تفتعل الأباطيل والأكاذيب والجهالات لتدين
وتجرم أخرى بيها ديبهم واحد ورسم واحد ورسولهم واحد وكتائبهم واحد.

وهذا على قمة الرمن يناديهم رسولهم "لا يلعن بعصكم معصا ولا ترجعوا بعدي
كفاراً، يضرب بعصكم رقاب بعض"

فلنكن له من الله عون ومن رسوله شفاعة حتى يهتدى إلى الذي هو خير
إن ربي لطيف لما يشاء...



واذكروه كثيراً لعلكم تفلحون!

كما أوصيتكم من قبل في المقال الذي كان عنوانه - "مريداً من الصلاة عليه" في

أوصى نبي وإياكم بالإكثار من ذكر دي الخلال والإكرام

وكما اقترحت عليكم أن يكون لكل ما مجلس منفرد، يجلس فيه مع نفسه، متوصلاً،
ومتفلاً القلب، ويكون لهذا المجلس موعد لا يخلعه مرة في كل يوم وليكنه - يصلي فيه
تحية ووفاء لمن أخرجنا من الظلمات إلى النور - يصلي عليه وسلم مناسبات صلاة ربه
وملائكته عليه..

كما اقترحت ذلك عليكم فيما يتصل بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرب أقترح أن يتسع مجلساً هداً، لذكر الله سبحانه وتعالى

فمن استطاع أن يطهر هذه "الخلوة" التي يعرّف فيها نفسه الطامئة إلى نور الله،

ورحمته، وعافيته، وقرنه .. فليحضر في خلوته هكذا

يستغفر الله - مائة مرة - أو كما يشاء..

ثم يصل على النبي - مائة مرة - أو كما يشاء..

ثم يذكر الله بذكر المأثور "لا إله إلا الله" مائة مرة، أو كما يشاء

والمثارة عامل رئيسي في نجاح هذه الخلوة التي يحس أن تكون ليلاً وترداد حساً وعطفاً إذا كانت قبل النوم مباشرة أو في المربع الأخير من الليل لمن اعتاد التهجد وصلاة الليل..

تصور نفسك في هذه الخلوة المباركة، في أي مكان من بيتك، وحيداً لا أحد معك سوى قيوم السماوات والأرض، وبورهما، دي العرش المجيد !!

وأنت مرهف السمع والنصر والحواس والفؤاد، تردد في خشوع وتقوى "أستغفر الله العظيم، فإذا بلغت حظك منها، رحت تنزل في ولاء ووفاء وحب كبير "أنهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه" ..

فإذا بلغت حظك منها، انتقلت إلى خير ما قال الرسول واليرون من قبله "لا إله إلا الله" وتشئت شفقت بكأس دهاق من قبض نورها، وحبورها، ورأيت سمعك المرهف يصغي لحفيف أجنحة!! الله أكبر . وكاد قلبك من الشوه بطير وكدت تصافح الملائكة عباً !!

أنتد. سيملاً روعت حلم طفولي عجيب، حين تفكر في أن نتحدث عن المستحيل الذي يرد إليك السوات الماصيات والليالي الخاليات لتبدأ معها من جديد، وليربوها رصيدك من هذا النور الأسمى والعطاء الأوفى..

ولكن، لا تأسى على ما فات . فالقول عند ربك لا ترشححه السوات . ورب ساعة من ساعات لقون، يتجلى عليك فيها جلال الله ورصوانه، فإذا أنت من المقربين وإذا أنت من أوليائه المباركين. !! وليس الطريق لمن سبق، بل الطريق لمن صدق .

المهم - يا قارئ العرير - أن تذكر الله كثيراً وجرب ما أقوله لك . اجعل لك في كل ليلة "خلوة" مع الله تبدأها بالاستغفار، ما وسعك الجهد وتشي بالصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ما وسعك جهدك وتغتمها "لا إله إلا الله" ما وسعك جهدك

وطأت بالذكر نفسك..

إن أهل الله، يسمون الذكر "مشور الولاية" أي أنك بالمواظبة عليه تأخذ منك - عاجلاً أو آجلاً - بين أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

هل سمعت قول الله سبحانه في حديثه القدسي "أنا جليس من ذكرني"؟؟..
وهل سمعت بداءه الأقدس إيانا، وهو يقول "ماذكروني أذكركم"؟؟.. ومن نحن حتى نستحق شرف ذكره ؟؟

نقد كان أحد العارفين يعبر عن الحقيقة حين قال :- "لم يتمصل الله علينا بدعونه إلى ذكره، وإثباتاً عليه بالحجة، فحب بل كان فضله قبل هذا أن سمح لنا بأن نردد ألسنتنا اسمه، وتستوعب قلوبنا ذكره"!!..

ونقد عبر عنها كذلك الشيخ "الكتابي" رضي الله عنه وعنه أحعين حين قال "تو لا أن ذكر الله فرض علي ما ذكرته إحلالاً له . أو مثلي يذكره قبل أن يعمل فمه بألف توبة صادقة"!!؟..

لنقف أمام قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] !!..

وإذا كانت الصلاة فرضاً وركناً من أركان الإسلام، أفلا يكون الأكرم منها، وهو الذكر فرضاً وركناً !!

بلى .. وإن الذكر لكذلك..

بيد أن فرضية الصلاة، فرضية تشريع وتكليف بينما فرضية الذكر فرضية حب وتشريف..!!

من أحر ذلك قال رسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - "أفضل ما قست، أنا والنبيون من قلبي لا إله إلا الله".

وهب يستل الله عباده المؤمنين ويضعهم أمام أنفسهم في امتحان صدوق أهم لا

يذكرونه إلا من خلال الفرائض المحتومة، تلمساً لثوابها، وتحلصاً من عقابها ؟ أم أن صدورهم تطوي على حب كبير لله ربهم، الرحيم بهم، والخبير عليهم، ومن ثم فهم يرون في الذكر الخالص به سبحانه، فريضة قربية، وشكر، وحب، وعرفان. ١١٩

يقول 'أنو على 'الدقاق' رضي الله عنه - "الذكر ركس قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى.. بل هو العمدة في هذا الطريق..

ولا يصل أحد إلى هذا الطريق إلا بدوام الذكر" ..

ويقول "عون بن عبد الله" رضي الله عنه - "ذاكر الله في عملة الناس، كالرجل القوي الذي يطهر في "الفة اشهرمة" فسمحها التماسك والثبات ولولاه لدامت هريمتها كدلت من يذكر الله في عملة من الناس؛ لولاه هلك الناس" ١١١

كنوا رضي الله عنهم جميعاً بعلمون علم اليقين المرلة التي بواها الله ورسوله، الدكرين والداكرات...

وكما يتهاون لمجلس الذكر في "خلونهم" مع الله أكثر مما يهتوسها لاستعمال عيد !!
هد "حليد بن عبد الله" رضي الله عنه كان قبل أن يستقر في الحجره المدخورة لحنوته كل مساء، يقوم بنطيعها فوق نظافتها ثم يعطرها، ثم يعلق عليه نايها، ويجلس على مصلاة ويقول:

"مرحباً بملائكة ربي..

أما والله لأشهدكم اليوم خيراً..

"حذوا باسم الله"!!!

ويمضي في ذكر يتعاضم العدد والإحصاء....!!!

يستعمر الله - مائة مرة - أو كما يشاء..

ثم يصلي على النبي - مائة مرة - أو كما يشاء

ثم يذكر الله بالذكر المأثور "لا إله إلا الله" - مائة مرة - أو كما يشاء

قالوا سمعنا .. وهم لا يسمعون !!

عندما قال لنا الله سبحانه : ﴿يَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ تَقْوَاذِكُلَّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿١﴾

لم يكن - حل حلاله - يذكرنا بسمته وقضله في ترويدنا هذه الأعصاء من جسوما

إي كان يذكرنا بمسئولية هذه الحوارح، وبمسئوليتنا عنها !!

أم ذكرها باعتبارها نمياً تفصل بها علينا، وأنتم بها حلقنا، فقد حمته إليها آيات أخرى
كثارة، يقتبس منها قوله سبحانه وتعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْمُورُ
شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢﴾ ومنها قوله عز
وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يُشَاءُ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [المؤمنون
٧٨] وما أحل حكمته وأحلها، حين يقرن السمع، والأبصار، والأفئدة معاً، كلها جاء
ذكر واحد منها...!!

وسمع، وانصر، والعزاد، تشكل في القرآن الكريم وحدة في الاستجابة، ووحدة في المسئولية.. وبسببها تألف وثيق..!!

وحين يقترب أحدها من نور الله، يقترب الآخران معه.

وحين يتحط في الصلال، يتخبطان معه..!!

لسطر قوله سبحانه ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّغَا وَأَنْبَصِرًا وَأَقْبِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَنْبَصَرُهُمْ وَلَا أَقْبِدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . [الأحقاف ٢٦] كذلك قوله تعالى ﴿ حَسْبُ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ عِشْوَةً ﴾ . [القرة ٧] وتحدث عن قوم فقال سبحانه ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ !! [الكهف ١٠١] وعن آخرين فقال ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ !! [الكهف : ٢٢٣] إن الذين يسمعون وفي نفس الوقت لا يسمعون هم كأولئك الذين قال عنه القرآن الكريم ﴿ وَتَرْبُهُمْ يَطُورُونَ إِلَيْكَ وَهْمًا لَا يُنْصَرُونَ ﴾ !! [الأعراف ١٩٨] وهؤلاء، وأولئك كفروا بعمتين من أجل نعم الله الوهاب فأصموا عن هداه آدابهم، وأعمصوا أعينهم " وصمهم الله سبحانه بأهمهم " قالوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [الأفال ٢١] وأنت لا تسمع، حتى تعي ما سمعت واحق يحمل قدرة عبده وعباده . وإذا وعيا، فإنا لا نجد منه مهرا ولا من الإيمان به بديلا والذين يسمعون، أو ينصرون، أو يقرءون، وهم عاقلوا العرم على أن يعرفوا الحق لينصروه - هم الذين يسمعون حقاً. وينصرون حقاً هم الذين لم نعم أنصاريهم، ولم نصم آدابهم، ولم يتركهم الله في صلاهم بعمهون !!

وبه لشيء مؤسف أن ينتهي أمر المسلمين إلى هذا المأرق، ويصابوا بهذه الآفة !!

فحكهم يسمعون القرآن ، حاملا إليهم وعبد الله للطالمين والمتسلطين.. وكأهم م يسمعون !!

وشعوبهم، تسمع القرآن كل ساعة حاملا إليهم وعبد الله للدين ﴿ تَوْفِيهِمْ أَلْمَلِكَةُ ظَاكُمِ أَنْفُسِهِمْ فَأَلَوْا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . [الساء ٩٧]

وحالة وعندها وتقريعبها للدين يتحلون عن نصره المستضعفين من "الرجال، والنساء، وابولسان، الدين يقولون ﴿رَبِّاْ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الطَّالِبِ أَهْنَهَا وَأَجْعَلْ نَا مِنْ لُدُنْكَ وَيَا وَأَجْعَلْ نَا مِنْ لُدُنْكَ بَصِيرًا﴾ !! [النساء ٧٥] وأفرادهم، لا يستشعرون العرة التي كتبها الله لرسوله وللمؤمنين ولا يعرفون إلى الله كما ناداهم جل جلاله في كتابه امين ولا يحاولون أن يتدققوا خلاوة الإيمان حتى بأسوا بتمعاته، ويعانقوا مسئولياته..

وهكذا أمسى المسلمون حكاما، وشعوباً، وأفراداً، من الدين قالوا ﴿سَمِعْنَا وَهْمٌ لَا نَسْمَعُونَ﴾ !! [الأنفال ٢١] وإذن فهذه مأساتنا -سمع، ولا نسمع ونظر، ولا نبر، وأصبح كل خطأ من الإسلام أناسا يرتبط به شكلاً لا موضوعاً وهامشاً، لا جوهرأ وبعبارة واحدة طالما أرددها لم يعد يرتبط به سوى شهادات الملاد !!

إسافي حاجة ملحة. إلى "تجديد" شامل في حياتنا كلها - الدينية، والسياسية، والاجتماعية، واللوكة. بحاجة إلى أن تتحلّى فيما من حدد روح رؤادنا العظام.

أولئك الذين استجابوا لله وللرسول وأولئك الذين كانوا رءاء بينهم أدلة على المؤمنين، أعرة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم وأولئك الذين كانوا كالحسد الواحد. إذا اشتكى منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء..

وأولئك الذين كانوا يعدون الله بقلوبهم قل أن يعدوه بجوارحهم. ويجدون في هذه العبادة عبطة الروح، وسكبة النفس، ويرد اليقين !!

وإذا لم يستلهم من حديد هذه الروح الباعثة، فسظل كاليتامي على مائدة اللثام !!

إن أعداء الإسلام والمسلمين لكثيرون وإهم ليريدون، ولا يقصرون. !!

وكثيراً ما يقدم إليهم بأعصاب مرص العلة علينا، والتمكن منا، والتكيل بنا !!

ذلك أناسا لم يعد يقرب من الله، ولم يعد يحتفى بوصاياه، واجتالسا الدنيا، وأغرفا في كواذب الأمان..

وأصبحنا من الدين قالوا (سمعنا، وهم لا يسمعون) !!

فدلتهم عمرا، واللهم بصرا على أنفسنا وعلى عدونا !!

أهم أقرب...!!

هل هناك في السماوات وفي الأرض وفيها بينهما أحد أقرب إلى الخلق من الرب ؟؟

هل هناك من يسمع نض الدم في العروق، ويعلم السر وأخفى، مثلما نسمع ونعلم السميع الصير الخبير...؟؟

هل هناك من يجيب المصطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويقول للشيء كس فيكون سوى الله...؟؟

إنه ليحربنا - سبحانه - أنه أقرب إلينا من حل الوريد وأنا لا نكون ثلاثة إلا وهو رابع ولا خمسة إلا وهو سادس ولا أدنى من ذلك ولا أكثر، إلا وهو معنا !!!

أذلك أمر بجهنم ؟ أم أمر يملأ أنفسا طمأينة، وأفتدنا سكية ؟؟

وهل ذلك أمر يجعل من العقل أن يبحث عن غيره، ليرعانا ويحفظ ؟؟

ونلجأ إلى غيره طالين منه النجدة والخلص...؟؟

إنا حين نعمل، يفرع أسماعنا هذا السؤال المهيب والرهيب من ذي الجلال والإكرام-

"أيهم أقرب؟..!"

أنا، أم الذين ترجون؟..

أنا، أم الذين تدعون؟..

أنا، أم الذين ترهون، وتخافون؟..

أنا، أم الذين تعبدون؟..

أنا، أم الذين تحسبونهم كحشيتي، وتسوي إليهم وتسخطوسي برصاهم؟^{١٤}

﴿ رَبِّ ظَنَنْتَ أَنْفَسَ وَإِنْ لَمْ نَعْفَ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . [الأعراف

[٢٣] إِنْ تَسْأَلِ اللَّهَ هَذَا ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ ؟؟ [الإسراء ٥٧] ليرلزل صمير كبل من يتذكر أو يحشى..

وحس بتملاه أحدا ويتدبره، فإنه لا محالة واحد نفسه كذلك الأعرابي الذي سمع

قارئاً يتلو قوله سبحانه: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا تُكْمُنُ تُطْفِقُونَ ﴾ [

الندبات ٢٣] فإذا هو بصيغ يا ويلتنا. من أعصب الحمار حتى يقسم. !!! ثم يجر معشياً عليه...!!

أيهم أقرب؟.. ١١٩٩

لله.. أم الذين تدعو من دونه؟.. حكاما وسادة.

فراعين، وقوارين؟..!

بل حتى أبراراً، وقديسين؟..!

به لتعمى عليا السبل، فنصل عن طريق الله..

ونختالنا نشباطين. شباطين الإيس والحس التي تهوى ما إلى قاع سحق. !!

الملئ لمن؟.. والعره لمن؟.. والمقادير كلها بيد من؟..

ومن بيده ملكوت كل شيء، وإليه ترجعون...!!؟

أإله مع الله؟.. سبحانه وحاشاه. !!

أعاجز هو عما يقدر عليه غيره؟!

ومن هذا نعيم، حتى يلتبس الحمقى معه، ما الله عاخر عنه !!؟

كم يثير قوته تعالى "أيهم أقرب" من المعاني الحياشة، والتصنع الموضع !!

بيد أن بعضا يفهم الآية فهما قاصراً يتعارض مع آية أخرى كريمة وعظيمة هي ﴿إِنْ تَدِينُوا مَوَاسِيئَ الْمُؤْمِنِينَ يَدِينُوا كُفْرًا وَلَوْ جِئْتُمُوهُمْ إِتِافًا بِكَلِمَاتِ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ يَقْتُلُوكُمْ وَكُفْرُكُمْ أَكْبَرُ إِنَّ الصَّالِحِينَ لِلَّهِ يَأْتِيهِمْ الْوَسِيلَةُ أَفَأَصْحَابُ الْغَيْظِ يُضْلِمُونَ﴾ [مريم ٩٦]
فأولئك يصرون هذا التودد للمؤمنين الصالحين التودد الذي يسكنه الودود المحيد
فتوب عبده ثواباً منه وحرراً وفاقاً لمن آمن وعمل صالحاً

النقص يريد أن يفسر هذا بأنه الشرك الأصغر !!

لقد يصح الرسول "عمر من الخطأ" رضي الله عنه أن يلعن في البحث عن عمد
صالح من اليمن، اسمه "أويس القرني" قائلاً له إذا لقيته، فاسأله أن يدعوك فإنه
مستجاب الدعوة.

وظل "عمر" وهو أمير للمؤمنين يتمحض العواقل الآتية من اليمن في موسم الحج
عاماً بعد عام حتى جمع الله بهالته المشودة "أويس القرني" وظهر منه بدعوات
صالحات...!!

إن للمؤمنين عند الله منازل يسعد من يقرب منهم ومنها - أحياء، وأمواتا - يقصم في
سجدهم الله سبحانه وتعالى من نور، وبركة، وأسرار.

وإن التفريط لباطل . وإن الإفراط لباطل أيضاً !

والإيعال في الأمر، كالإيعال في النهي - كلاهما بعيد عن مسلك الأمة المفتقدة، كما
وصفها الحكيم العليم..

أيهم أقرب...!!؟

إنهم إنك وحدك الأقرب والأقندر. والأكرم..

فارزها حيك. وحب من يحبك. وحب العمل الذي يلبس حيك. آمين

كم هم جاهلون أولئك الحاسدون...!!

قيم ساحر الناس ويتاعصون ويقتلون. ؟!

ولماذا يجري كل منا وراء ما ليس له بحق... ؟!

ولماذا بدلا من أن يشكر الله على ما أنانا من نعمه، يذهب فيحسد الناس على ما أنعم الله من فضله... ؟!

ماذا لا يقع بنا في أيديا ومرضى، وطمع فيما في أيدي الآخرين حتى حين يكون الذي
معا كثيرا.. والذي معهم قليلا... ؟!

وبماذا نقول بلديا ما أحملك حراماً وما أقبحك حلالاً... ؟!!

بشر ما يصاب به إنسان من آفات الحياة الدنيا وإثامها، هو الحسد هو الذي يأكل الحسبات، كما يأكل النار الخطب !! والذي يرمسه كل دين وكل عقل ذكي، وكل قلب سليم والذي هو نار الحاسد وحة المحسود. !! ذلك أن الحاسد يكتوي بنار أحقادهم ويعيش أسير رعبه المسعورة في أن يرى محسوده وقد تعرى من نعم الله عليه متميماً رواها ورحيلها وما هي برائلة ولا راحلة بل هي دائماً في مريد !!

جاء في الأثر أن الله - سبحانه وتعالى - يقول "الحاسد عدو نعمتي . مسحط لقضائي .. غير راض بقسمتي بين عبادي" !!..

إن الحاسد يتحجر اسحاراً طغياناً ويعيش حياته تحت وطأة مشاعره المنتهية السعة !!

وما صدق إبليس قط إلا في هذه العبارة التي يقال إنه أهداها لسيد "نوح" عبه السلام قائلاً "إياك والحسد، فإنه يصيرني إلى ما أأف فيه من مقت وطرود وهوان" !!..

أجل كان الحسد هو الذي أحهر على الشيطان، حين قال "أن خير مه" وحين نقم على آيها آدم إذ حباه الله نعمته، واصطفاه لخلافته . وكان الحسد أيضاً هو الذي حرم مشركي مريش من نعمة الأيمان حين قالوا - ﴿وقالوا لولا نزل هذ آفرة أن على رحر من آلفرتين عظيم﴾ [الزخرف : ٢١]

وحين قالوا استحقاقاً بشأن السائقين إلى الإسلام ﴿أهلؤا من آله عليم من نيسا﴾ [الأنعام : ٥٣] ..!!

وحقاً إن حب الدنيا رأس كل خطيئة

هما نموح به من إغراء المال، والمصب، والجاه - هو الذي يعري صغاف الإيمان وصغار النفوس بالحقد الذي لا يصرون به إلا أنفسهم المثقلة هموم الحسد والشن !!

إن عني روال نعمة العر جهل ميين ولأنه كذلك، نصق الدنيا في عين الحسد، ولا يراها إلا حشوداً لحة من المنراحمين، لأن الدنيا ضيقة، والجهل أكثر ضيقاً !!

أما يعرفون بالله فإن المعرفة تزيهم الحياة بحاراً واسعة، تنبع لكل المسحورين،
والساحرين ثم إهم لا يتحاسدون على عمر الدنيا وبقاياها، لأنها بكل ما فيها لا تستحق
منهم أن يكثر ثوابها. ولأنهم سمعوا منهم الصادق الأمين عليه صلاة الله وسلامه يقول
- "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله عرو وجل القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء
النهار ورجل آتاه الله مالا فهو يتعقه في الحق آناء الليل وآناء النهار "

هذا يكون الحسد والرسول عليه الصلاة والسلام يسميه حسداً من باب المقابلة
والمجبر وهو يعني به التنافس في الخير، الذي قال الله سبحانه عنه "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
فَلَقُوا نَافِسِ الْمُتَنَفِسِينَ ﴿٨٣﴾ [المطعمين: ٨٣].

وهنا تحول الحسد الشريف، والتنافس العادل إلى "عظّة" للروح و"إيساس"
للعواذ..!!

لكن الحسد إمرار شائع وهو من آفات النفس الشريرة وطبيعتها ويكاد يشترك فيه
أكثر الناس

أجل - هذا حق . ولقد لحظه رسولنا الكريم أعظم حير بخفايا الأنفس وعرائر
الإيساس، وأدكى معلم وأستاذ في فن التعوق على الصعف الإنساني أنه يكون

من أجل ذلك يحدثنا عليه السلام يقول "ثلاث لا يسجو منهن أحد الظن،
والغيرة، والحسد . وسأحدثكم عن المحرج من ذلك

"إذا طست، فلا تحقق وإذا نظرت، فامض وإذا حدثت، فلا تبع أي أن واحداً
أن نقمع شهواتنا الخبيثة والفضالة..

وقمع الحسد يكون بإبطال معموله.. أي ألا ترتب عليه أي تصرف فيه أدى
بالمحسود.

ولعل من وسائل هذا القمع، أن نكثر من الدعاء للمحسود

هالك بتقاماً الشيطان ويمجى..

وإذ كان الرسول عليه السلام قد حدثنا عن الثلاثة التي لا يسجو منها أحد، فعله
عنه السلام يقصد بهذا الأحد مريقاً خاصاً من الناس - وإن يك كثيراً
هؤلاء هم صغاف الإيمان صغار النفوس . وصغاف العقول أيضاً..
سأل الله لأعضا ولغيره سكية النفس وعطية الرضا واليقين



أحسنوا الظن بالله

قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى ثلاثه أيام، أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذه الرصاء الحميدة "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل".

ومن أولى منه ﷺ بأن يدع لأصحابه ولأمه في الساعات الأخيرة من حياته السارة الرحيمة، مثل هذه الكلمات الحانية..؟؟

الم يرسله فاطر السماوات والأرض رحمة للعالمين ؟

وهل ثمة رحمة تصع عن النفس الشرية أصارها وأورارها، مثل هذه الرحمة التي تملأ القلب سكية وطمأينة، حين يعممه الرجاء في الله، وحسن الظن بالله ؟؟

هذه العمودية العليمة الدكية التي ألهمت بمرسهم تقواها وعرفتهم بالله معرفة وثقت إيمانهم بجوده، مثلها وثقته من قبل بوجوده.. !!

وهكذا أحسوا الظن به سبحانه، دون أن يعرفهم به العرور

ما أروع أن يجد المؤمن هذه العلاقة الحميمة به وسي حالقه ومشته وربه الذي أشبه على ملائكته المقربين ليكون الخليفة في الأرض. والذي يتقرب إليه ذراعاً، إذا تقرب العبد إليه شراً. ويتقرب إليه باعاً، إذا تقرب إليه ذراعاً. والذي يقبل إليه هروبة، إذا جاءه العبد يمشي!!

والذي يبادي العبد من علمه - "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استعفرتني غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأنيتك بقرابها معصرة"

هذا الحب الودود المسادل من الله وعباده، هو أقصى ما يطمح إليه المؤمنون لأهم عبده يحذون الله.. ويجدون أنفسهم وتصح الدنيا بكل إغرائها وعطائنها أدنى قدر، وأخط شأناً من أن يقابصوا عليها بلمحة من هذا الحب، وخفقة من ذلك الود!! وهؤلاء القوم أنعم الله الحكمة، فهم يعرفون كيف يشعرون بالورع بالقسط وكيف يعيشون أيقظاً بين ما يرحونه من رحمة، وما يجادونه من عذاب.

إذا تلوت عليهم قول الله سبحانه ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رِّيحٍ شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ وَلَا فَوْقَ السُّمُومِ وَلَا دُونَهُ﴾ [يوسف ٨٧] تدوا عليك قوله عز وجل ﴿فَلَا يَأْمُرُ مَكْرَهُ اللَّهِ، وَلَا لَقَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [الأعراف: ٩٩] والعكس بالعكس..

وإذا سألت بعضهم، أين الله؟ أجابوك بالمرصاد!!

وإذا سألت آخرين نفس السؤال، أجابوك: حيث تحتاجه وترجوه...!! لقد استقام أميران بأيديهم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾، تحتل في روعهم نفس المكان الذي تحتله ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾!! [آل عمران ١٠٦] و﴿إِنْ رِئَاكَ لَسَرِيعٌ الْعَقَابِ﴾ [الأعراف ١٦٧]

تشكافاً ونشائس مع ﴿وَرَبُّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . [الأنعام ١٦٥] و ﴿إِنَّ الْأَنْزِلَ لَإِلَهِ عَجِيمٌ﴾ .
[الأنعام ١٣] تكتمل في وحدانهم . ﴿وَإِنَّ الْعَجَّارَ لَإِلَهِ عَجِيمٌ﴾ . [الأنعام ١٤٠]

وبعبارة واحدة، فهم قد حفظوا وصف الله للمؤمنين حين قال سبحانه ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء : ٥٧]

وصدقوا رسوهم عليه اتصالاً وأركى السلام حين قال

- "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بحتة أحد . ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد" !!...

- وقوله صلى الله عليه وسلم : "الحبة أقرب إلى أحدكم من شراك بعله والبار مثل ذلك" !!..

- وحين وحدوا أنفسهم بهذا القرب من الحبة قطعوا المسافة الفريضة بينهم وبينها وثلاً وأحلوا أنفسهم مقام الرجاء . وعاشوا هناك بس روحه ورحمته وحنانه وأمانه...!!

ولكن أين هؤلاء من مكر الله الذي قال عنه الصديق الأكر "أوبكر" رضي الله عنه
"لا من لمكر الله، ولو كانت إحدى قدمي في الحية" !٩

إن مصائرهم لا تعموا ولا تربع عن مكر الله تماماً كما قال الصديق رضي الله عنه
يبد أنهم وقد أحبهم الله مقام الرجاء، فإنه لا يسلبهم نعمة أعطاهم إياها ما داموا لم
يبدلوا نعمة الله كفرًا ومكر الله الذي يخشونه، والذي حادده سيدنا أوبكر رضي الله
عنه، ليس إحباط لله أعماهم، ولا تحسهم ما كانوا يعملون

بما معب في وعيهم، أن تتحلل الله عنهم . وأن بكلهم إلى أنفسهم، وإن حوهم
وقومهم فيحمدون عند درجه، يريدون أن يحاوروها إلى درجات، ودرجات . ومن ثم
فأصدق أوصافهم أنهم لا يخافون "مكر" الله بل يخافون "من" مكر الله

وهذا قال الصديق أنموكر رضي الله عنه "لا آمن بكرة الله ولم يقل "لا آمن بكرة الله" !!..!!

فمكر الله بعيد عن الدين يحملون مثل إيهان أبي بكر وبقية، ولكن بعضا من هذا المكر المتمش في امتحان العدو هو الذي يجادره الصديق ويحشاه

وكما سأل المسيح عليه السلام ربه من قبل قائلا: "لا تدخلنا في تجربة" .. فكذلك يقول العارفون بالله تعالى..

إن الذي كان يجادره "الصديق" رضي الله عنه، هو أن يدخله الله في تجربة، وأن يصعب موضع الامتحان..!!

وبعد فإن الرجاء واحدة المؤمن وجنته وهدووسه.

ومن تدثر بالرجاء، فإنه يحيا أما ويموت أما ويبعث تحت مظلة الرجاء والعطاء

واجعلنا للمتقين إمامًا

من عباد الله المحلصين، هؤلاء الأبرار الذين وصعهم الله سبحانه بقوله ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلِنَا فَكْرَةً أُخْرَىٰ ۖ وَأَجْعَلْ لَنَا إِمَامًا مِّنْهُمْ ۚ﴾

[الفرقان ٧٤] بهم يطمحون إلى شأو بعيد، فهم لا يقفون عند رجاء الطهر بالتقوى،

وأحد مكانهم العالي بين المتقين - إنما يخلقون عالما فسألون الله ذا العظم العظيم أن

يجعلهم للمتقين إماما. !!

وما أعظم منزلة الذين يمسحهم الله هذا العطاء، فيصحبون عن قل - عرو وحل -

فيهم - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة ٢٤] إن الإنسان العظيم

حفا، هو الذي تشكل حياته طريقاً عاماً للأحياء

وهو بهذه المثابة يكون رائداً.. وقائداً.. وإماماً..

من أجل ذلك عرف الله لهم من المثوبة بيمينه - وكلنا يديه يمين - وأعطاهم بغير

حساب .

وحسبهم وعده لهم بأن من سن منهم سنة حسنة، فله أحرها، وأجر من عمل بها في يوم القيامة. انظروا، أجر من عمل بها في يوم القيامة

أي جراه...؟ وأي عطاء...؟ وأي ثناء...؟

ولنطالع معا هذا الحديث الكريم

عن أبي عمرو، حرير بن عبد الله رضي الله عنه قال

"كما في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاء قوم عراق، محتاجين السمار أو العباء، متقلدي السيوف عامتهم من مصر بل كلهم من مصر فتعمر وجه الرسول - في تعير - لما رأى منهم من المماقة فدخل، ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام، وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَنَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً الَّذِي نَسَاءُ لُونِ بِهِمْ وَأَلَزَّ حَامًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ نَقِيبًا﴾ [السَّاء ١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾ [الحشر ١٨] تصلى رجل من ديناره. من درهمه من ثوبه من صاع بره. من صاع ثمره حتى قال ولو مشق ثمره فحاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها. بل قد عجزت. ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبه.. ثم قال - من سن في الإسلام سنة حسنة فله أحرها، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء. - ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. صدق رسول الله

إن ما يقيض به الحديث من بهاء وصيحاء حبيب إلى أن أنقله بطوله

وإن بدايته كنهايته في تبيان ما نحن بسيله..

فرسول الله ﷺ يحب لأمته أن تكون أمة رائدة..

وبالذی، فهو يجب لكل مسلم قوى أن يكون في الحمة رائداً والريادة تحقق لكل خير مستكر، يحمل الآخرين على اتباعه والناسي به بل وكل خير مألوف يكون فعله وإتيانه تذكيراً للناس به، وحصاً لهم عليه

وأسان المسلم الذي يجبل حياته بفصائلها ومجالاتها إلى طريق للأحياء يستحث إلى الخير والحق حصداً، يكون قد حقق لنفسه "الريادة" التي تجعله "معلماً" من معالم ارشد الديني والإيماني

، حين تصح حياة المؤمن فدوة للآخرين، بفصائلها من صدق، وأمانة، وتواضع، وتعصب، وإخلاص لله، وشجاعة في الحق، وبراعة في الحكم - يكون قد تقلد منصبه الرفيع بين الأبرار ومع الأبطال .

عندما كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - يودع الإمام "علما" كرم الله وجهه، وهو في طريقه إلى خير .. أوصاه قائلاً: - "أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" . !!

هذه رسالة المسلم، وهذا دوره المجيد أن يستثمر نعم الله عليه من علم، أو مال، أو حرة، أو جاه، في بسط هذه النعم وهذه المنح، حتى يستمتع بها الآخرون فمثل هذا ونمثل هذا جعلنا الله ذو فضل العظيم "خير أمة أخرجت للناس"

نعم لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ولأن يبعث الله بك رجلاً واحداً ولأن يستر الله بك رجلاً واحداً ولأن يعاقب الله بك رجلاً واحداً ولأن يعلم الله بك رجلاً واحداً ولأن يبعث الله بك مكروماً واحداً ولأن يعي الله بك محروماً واحداً خير لك وأمر منك من الدنيا وما فيها.. فاستقوا الخيرات !!

لمن هذا العطاء وهذا الهناء ؟ !!

ثقة المؤمن بربه واطمئنائه إليه خير ما يكسبه من تديبه وديبه ذلك أن هذه الثقة وهذه الطمأنينة، تعبيران أن الإيمان قد استقر في أعماق الضمير وصار يؤتي ثمره في كل حين

وصعب الثقة بالله سبحانه وعالي - يعني فيما يعني سوء التفدير لعذره ولرحمه لأنا إذ مؤمن، وإذ عدم علم اليقين أنه على كل شيء قدير، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه أحاط بكل شيء علماً، فإن ثقته ورجاءه فيه، سبلعان أعلى مستويات الثقة والرجاء.

ولعل الحديث القدسي القائل "أنا عند ظن عبدي بي إن ظن حيرا فله وإن ظن غير ذلك، فله" أقول "لعل هذا الحديث يؤكد هذه الحقيقة، ويرر بصوعها !!

ولقد كن صادقاً وحادقاً ذلك الحكيم الذي قال - «إن لله عباداً - إذ أرادوا - أراد» وهو بدهة لا يعني أن إرادة الله تحيى تعاً لإرادة هؤلاء العباد، إنما يعني أن ثقتهم بالله، وسأهم من الدين رضى الله عنهم ورضوا عنه تجاوزهم كل الاحتمالات شرية

انفاصرة، ومن ثم يصححون من الدين عناهم الحديث القدسي "عبدني أطعني أجعلك عبداً ربياً" يقول للشيء كن، فيكون !!!

و شعة المظلمة في الكبر المتعال - حل حلاله - لا تكون إلا حيث توحد القلوب السبمة والقويمة وإلا حيث يوحد الإيمان السيد والرشد

وهي مضمونة من المؤمن في كل آفاق تعامله مع الله سبحانه ولذكر في هذا انما قام قول رسولنا - عليه الصلاة والسلام - " لا يقولن أحدكم اللهم اغصر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليغزم المسألة، فإن الله لا مكروه له !!!"

وفي حديث آخر يقول سيدنا وإمامنا - عليه السلام - فيما يرويه "أس" رضي الله عنه "إذا دعا أحدكم، فليعزم المسألة، ولا يقول اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له !!!"

أرأيتم...؟؟

إنه حتى في الدعاء من في صيغته وكلماته يجب ألا تتأرجح ثقلاً بالله وألا يهر يقبلاً ولو بدافع الأدب مع الله المائل في قولنا. إن شئت...!!

من بل مدى أبعاد من هذا يذهب الرسول الكريم، وذلك حين ينهاه قائلاً - " لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان" !!! وأحسب أن هذا رواية أخرى للحديث يقول "ولكن قولوا. ما شاء الله وحده"

وفي كنت الروايين بريد الرسول صلى الله عليه وعلى أهل بيته وصحبه وسدم، أن تكون ثقفت باخي انقبوم عميقة الخدور، مائلة الصدور متحدة، متنتة لا تتلفت وراءها ولا عن أسرارها وشمائلها، باحتة عن ملاد آخر أو معين

أتعرفون، أو تذكرون بأ ذلك الأعرابي الذي سمع تالياً للقرآن العظيم ينلو قول الله - سبحانه ﴿فَوَرَبِّ السَّعْدِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْتُمْ تَطْفُقُونَ﴾ (الدرجات ٢٣) فإد به يقع معشياً عليه، وهو يصيح بأعجا من أعصت الخمار حتى تقسم !!!

نقد آفاق ذلك الأعرابي الحكيم الورع من عشته بعد حين ترى هل كان سيفيق أبداً،

لو رأى مبلغ ثقة المسلمين اليوم بربهم الحميد المجيد !!؟

على الأقل، كانت عشيته أو عيونه مستطول ثم تطول. حين يبصر ثقتنا بالعلي القدير، وقد تماوت تحت "الصعر" "!!" وأحد مكابها ولاء رجبص للبشر ولأسوأ أنواع البشر، وأكثرهم كيدا للإسلام وشعبه وأوطانه !!

لا أريد أن أخرج بالموضوع إلى المستوى الجماعي، حتى لا تثار مواجعا، وفواجعا ولأن بقاءه في المستوى الفردي، ربما يكون أهدى وأمنع فقد يجمع الله هذه الكلمات أفرادا من عباده يسارعون إلى مرصاته. وبصاعقون من ثقتهم به، وإحسانهم له، وتوكلهم عليه..

فلهؤلاء أقول مرة أخرى "إن لله عبادا - إذا أرادوا - أرادوا !!

الله أكبر .. والحمد لله واجب التعم !!!

ولم لا يكون لهؤلاء العباد كل هذا العطاء ..؟

ألم يلبع رسولا قول رب في الحديث القدسي المصنف " . كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها . " ؟!

ثم قوله سبحانه في نفس الحديث " ولئن استعادي لأعيدنه، ولئن سألتني لأعطيته " !!؟
لمن هذا العطاء وهذا الجاء ..؟؟

إنه لمن وصفهم سبحانه بأنه حبيبهم، وأنهم أحبابه..

فب من تطالعون هذه الكلمات، انهموا إلى رحاب الله التي ليس كمثلهما رحاب. وتعاونا على البر والتقوى وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر. وجددوا ايمانكم بالله واستريدوا بغير حساب من الثقة المطلقة به والتوكل الدكي عليه واسمعوا - في غير يأس أو استكثار - لتبلغوا هذه المنزلة العالية.

ويومئذ يفرح المؤمنون بصر الله لأن الواحد منكم سيكون "أمة" وحده ولأن توحدهم الطهارة إلى الودود المجيد، والكثير القدير، ستكون أقرب إلى سماع الله من سمعكم إليكم..!!

وإنما ورثوا العلم !!

وعاه ربه سبحانه إلى الإلحاح عليه بهذا الدعاء الخليل ﴿رَبِّ رَدِّي عَلَّمًا ۝﴾

ومد تلقي هذه الآية الكريمة ﴿وَقُلْ رَبِّ رَدِّي عَلَّمًا ۝﴾ [طه: ١١٤] أدرك فوق
دراك، ما للعلم من قيمة وحتمية وكرامة..!!

فقر عليه الصلاة والسلام "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على
هلكته في الحق. ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها "

وضرب مثلا ذكيا وجامعا وفريدا فقال - "مثل ما يعني الله به من الهدى والعلم،
كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ، والعشب
والكثير.. وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنعج الله بها الناس، شربوا منها، وسقوا،
وررعوا. وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ.

«فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما يعني الله به، فعلم وعلم

«ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» !!

ولقد ماز الله الحكيم الخبير بين من يعلم ومن تجهل فقال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَفْعَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر ٩] ثم قال سبحانه وكأنه يجيب على السؤال ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة ١١] ﴿يَتَذَكَّرُ اللَّهُ مِنْ عِبْدِهِ الْمُفْعَلُونَ﴾ [فاطر ٢٨].

ولكن أي علم هذا الذي ركاه ذو الحلال والإكرام ودعا إليه ؟

أي علم هذا الذي قال عنه الرسول : "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة" ؟؟ انه علم الدنيا والآخرة . علم الحياة وعلم الدين . إذ ليس من المعقول أن يعيش المسلمون عالة على غيرهم وسط المتغيرات الدائمة، والتطور المتسارع، دون أن يكون لهم على الأقل إسهام في عماره الحياة " وإن ديسا العظم ليهتف بنا صباح مساء: لا تستوى الظلمات والنور؟؟؟"

لأنه أن يكون العلم الذي ندعى إليه هو علم "المعمل" مع علم "المسجد"

ولأنه أن يكون طريق الأمة المسلمة في كل عصر ودهر إلى الحصار التي نحقق وفرة اخيه وحماها وثراءها هو الطريق الذي تحف به قيم الإسلام ومضائيه ورؤاه وإن اسلم "مرابط" أنداً بحكم مسئولياته تجاه دينه ونجاة دياره

مرابط في حراسة بيته وحليته لخصارة الروح التي أشع الإسلام أصواءها وخصارة ابدية والعلم التي رفع لواءها من جعل اناءها الأقدمين في الأندلس، وقلها، وبعدها يسمعون لندى لسامقة في حصاره العلم، مما لا يزال سهر الدين درسوا هذه اخصارة من علماء أوروبا والغرب جميعاً...!!!

العالم المسلم دون "مرابط" ومحاهد في سبيل الله وكلها حتى جهته العالية على مختار أو مخترع، فكانه يحياها في سجود العابد الأواب.

يقول رسولنا - عليه صلاة ربنا وسلامه : "من حرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع".

ويقول «فصل العالم على العابد كمصلي على أديانكم» بل يقول - وما أروع ما يقول :
 «من سلك طريقاً يتبع فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع
 أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع. وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في
 الأرض حتى الخيتان في الماء. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا
 درهماً.. وإياهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر» !!..

وإذا كان العلم سوعيه علم الدين، وعلم الحياة، يمثل الصعود إلى الدرجات العلوية،
 في الدنيا والآخرة فإن الجهل هو أقرب الطرق إلى التحلف والاضططاط وصدق الشاعر
 الذي قال:

وفي الجهل - قبل الموت - موت لأهله

وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسامهم

فليس لهم حتى النشور نشور

يقول الله عز وجل - ﴿أَوْسَ كَانَ مِثْلًا فَأَخْبَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
 النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ، وَتَلْطَفُ النَّاسُ بِخَارِجِ مَتْنِهِ﴾ ١٩ [الأنعام ١٢٢] أهيك حمر لهمة
 المسلم نحو العلم بكل معانيه ودلالاته ومحالاته، مثل هذه الآية الكريمة التي تجعل
 الجهل ظلمة، وتجعل العلم حياة وبورا ؟.

وذن، مما بال يرى بعض المسلمين المعاصرين بل ما بال حيرة من شاسهم يظنون
 ويضللون ويخدعون في دينهم، فيسفهون العلم.

ما بهم يمهون روح الإسلام ورسالة وسمجة فهم سقيما وظلوما ؟!

وما بال بعض دعاة المزعومين يصون في عقولهم عباءهم وجهلهم، وسوء ما

يقصدون ويأفكون..؟!؟

هل الإسلام الذي علم أساءه كل ما في حصاره العالم اليوم من خير ونعم، هو الذي يطمع أساءه أنوار العلم والحضارة ؟

أجل - لقد صدق الرسول المعلم العظيم حين قال صدراً ومحدراً: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم - فصلوا وأصلوا" !!

وسلام على أسياء الله الذين لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم . !!!

هذا ما وعدنا الله ورسوله

بين المؤمن وربه مشاق ألا يحمله وألا تتحلى عنه وأن تطل يده عليه فلا يدعه يهلك

مع الهالكين . . . !!

- ﴿ أَدْعُوبِي أَسْتَجِبْ لِكُرِّي ﴾

- ﴿ وَلْيَضْحَكُنَّ أَلْفٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الحج : ٤٠]

- ﴿ رَأَى اللَّهُ مَعَ آدَمَ آتَقُوا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴾ [سجدة : ١٢٨]

- ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣]

ومن مشى إلى شرا ، مشيت إليه ذراعا ومن مشى إلى ذراعا مشيت إليه باعا

ومن اتانى بمشى أقيته هرولة ..

هذا ، المشاق بين من بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير وبين من ليس له من

الأمر شيء وإن يسلبه الدباب شئاً كان عن استناده من العاخرين !! وهذا المشاق

الذى تفصل الله به يصح العبد المؤمن من أقوى الأقوياء فهو يستمد القوة من مصدرها المفيض ومن معها الذى لا يعبر ^{١١} ألم يقل الله عز وجل فى الحديث القدسى " كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها " ^{١٢}

أيمكن أن يكون عاقلا ذلك الذى يصح الله فى يده كل هذه القوى الكبيرة واعطائها المدحورة ثم يعطيها طهره ويذهب باحثا عن قوى تواردة وتصره قوى من عند ضعيف مثله لا يستطيع وآلاف الملايين معه أن يخلقوا دينا ، ولو اجتمعوا له أهذا عاقل أم مخول ؟ ...

وإذا قال فى بلاهة وكفران بنى أنطلع إلى ما وعدنا الله به فلا أحد منه شئ لا يكون أكثر حنونا وسماحة .. ؟

إن الله لأجل وأعظم من أن يصح يده فى أيد ملوثة بظف تلك وبظف قذت وكس مؤمن حتما نجد الله يسارع إليك ..

لقد كان بعض العارفين بالله إذا مسه سوء يقول لنفسه " دبت عجبت عقوبته " ^{١٣} ويقول آخر والله بنى لأفعل الدب الصغير فأخذه فى خلق روجتى وحمارى " ^{١٤}

وعندما قال أصحاب رسولنا الأكرام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حين قالوا فى إحدى العروات " لن نعلب اليوم من قلل أحدكم الله مؤاحدة صاحبه - * ويوم حشر ذنوبكم كثرنكم فلة نقر عنكم شونا وصاقت عنكم الأرض بما رحبت ثم وثبتت رؤسكم مذبرين * " [النوبة ٢٥] * ثم أرسل الله سكينته على رؤسهم وعلى المؤمنين وأرسل جنودا لترؤسها [النوبة ٢٦] وحين قالوا فى عروة أخرى أمام جيش المشركين أياهم أياهم يوم الأحرار . * هذا ما وعدنا الله ورسله وصديق الله ورسله * .. أنعم الله عليهم بنصره العظيم " ^{١٥}

هؤلاء أصحاب أحب خلق الله إلى الله كان هموا أنهم حراؤها السريع

سريع بحرب من خطاياهم بعدد انماست ان يقرب الله هات نصرته وهات نصرت

ولا تتطير منا طاعة ولا شكورا .. ؟؟

أولئك أصحاب سيدنا (محمد) * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم

فَحَشَوْنَهُ فَرَدْنَاهُ بِمَنَّا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ قَاتِلُوا بِغَمٍّ مِّنَ اللَّهِ
وَفَضَّرْنَا لَمْ يَفْسَدَتْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران
١٧٣، ١٧٤] فماذا نحن اليوم ؟ ألسنا نحسب كل صيحة علينا ؟ ألسنا نهرب من
القوى إلى الضعيف ومن القادر إلى العاقر ومن أصدق القائلين وأوفى الواعدين
إلى الكدمة المحررة العاديين ثم نساءل . أين نصر الله ووعدنا ؟

بما في أحسن الافتراضات نضع صبيح الطفل الذي يملك أحراء الساعة وينثرها أمامه
ثم يعجب لأن الساعة لا تدور .. !!

نسأل أين الله .. ؟؟

إيه مع الدين اتقوا واندين هم محسون ونحن اليوم لا نتقى ، ولا نحن كل أعمال -
سياسية وعمر سياسية ، رديئة ، رخصه ، أبايه ، قد فقت عن أمر ربها !!

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام "يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير"

مثل أفئدة الطير بهم؟؟ في رفقها وفي نقيها سارها وراقها

أما علاط القلوب من الدين قالوا أما بأفواههم ولم يؤمن قلوبهم

ومن الدين يعودون بعدوا الله وعدوا أوطانهم وشعوبهم ويستعينون بهم علي فخر
الشعوب التي امتطوا ظهورها في عمله من الرمن، وصيحة من الحق، وطلام من الليل

أما هؤلاء فقد كذبوا .. ونقصوا .. وخانوا .. فأبى وجه صفيق يطلبون من الله نصره،
روعه. ؟

قد حرموا حسي من أن يقولوا ﴿ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ وَصَدَّقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ ﴿١﴾ [الأحزاب . ٢٢] حرموا حسي من هذا البناء علي الله بما هو أهله ، لأهم
حرموا أنفسهم الملائكة من حرارة اليقين، ولم يعودوا أهلاً لتصديق الله وتصديق رسوله .
محطت أعماطهم، وساء مصيرهم، وساء معهم مصير أمتهم المسلمة

وباطل ما كانوا يعملون.

فإنهم عموك، وبجذتك، وعافيك وهداك بارب العالمين.

ولا تعد عيناك عنهم !!.. !!

لو كانت الدنيا تزول عند الله جاح بعوضة ما سقى الكافر منها حرة ماء !! هذا

حق.

ولو كان تكريم الله لعباده في الدنيا يتجلى في بسطة الجسم والمال، وفي وجاهة المنظر، وأرستقراطية المشأ والمحيا لو حذا الكافرين واحطاة أكلح الساس وحوها وأقبحهم منظراً وأحطهم منشأ.. وأدناهم مكانة..!!

لكن الله - سبحانه وتعالى - يتعامل مع العباد بمقاييس أخرى، لا تمت إليها صلة مقاييس المعرفة من كل محتوى عظيم.

ولقد علم الله رسوله الكريم هذه المعايير، ودعاه للأحد بها، وتحكيمها في علاقته بالاس إذ قال له في قرآنه العظيم ﴿وَأَصْرِفْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَلَعَشَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ هَيْبَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُصَعِّغْ مَنْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرٍ وَاسْتَعْمَلَ هَوَاهُ ۖ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۚ﴾ [الكهف ٢٨]

وإذ من سبحانه له ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَفْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^{٥٢}
عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء، فتطرد هم فتكون من
الظالمين ٤. ١١ (الأعام ٥٢)

وراء هاتين الآيتين الحليتين، كانت هناك قصة !!!

فدأت يوم ذهب بعض وجهاء قريش من المشركين إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يرحونه أن يجعل لهم مجلساً خاصاً يستمعون فيه إليه، ويتحاورون به معه
مترفعين عن أن يشاركونهم في هذا المجلس، أو يشاركونهم فقراء مكة وصعفاءها
وعبيدها...!!!

ومع أن قلب النبي وهواه كان دائماً مع الفقراء والمستضعفين حتى إنه يقول
لأصحابه "انعوي في ضعفاتكم فإنكم إنما تنصرون وترزقون بضعفاتكم".

أقول على الرغم من هذا فإن حرصه على هداية الناس جميعاً وبخاصة أشرف قريش
الذين كان إسلامهم سيوفر الكثير من المعاناة التي يلغاها، ويلغاها معه الرعيل الأول من
المؤمنين، حرصه هذا حفزه إلى التفكير في إمكان تحقيق رعة رعياء قريش - أن يجعلهم
يوماً، أو أياماً ينظمهم فيها مجلس خاص بهم، لا يحصرهم الدين بأنهم من أن يجلسوهم
من الفقراء والعبيد، أو الذين كانوا لهم عبيداً..

أي بأس في هذا ؟ ولا سيما إذا لم يلحق المستضعفين منه أي عصابة، أو أي
تصغير لشأنهم ؟

هناك، قد هم الرسول - عليه صلاة ربنا وسلامه - "ارجعوا عد أنبتكم بها
مبكون" ..

أين كان الله السميع البصير من هذا الحوار...؟؟

لقد سمعه من فوق سبع سمواته...!!

وبرل جبريل، أمين من فوره بالآيات التي ذكرنا من قبل، معلنة أن قلامة طمر واحد

من أولئك الذين أراد وجهاء فريش أن يستعدوهم من مجلسهم مع الرسول، خير عند الله، وأقوم، وأفضل من رؤوس وجهاء قرش جميعاً !!

برل الوحي حينئذ وسريعاً يقول له اقدف هؤلاء العتاة ودرعتهم المستعلية المتأففة إلى الأرض، وإلى السراب " وَأَصْرَ نَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَاتَّعَيْنُوا يُرِيدُوا وَخَهْءٌ وَلَا تَقْذُ عَيْنَاكَ عَنْهُ تُرِيدَ رِيَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْغَ مِنْ غَفْصَا قَلْبِهِ عَنِ ذِكْرٍ وَآتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ مُرَّةً قُرْطًا ۝ ١١ .. !!

تأركت يا ذا الحلال والإكرام .. وسبحانك !!

تري أين مكن قراء المسلمين وصعفاتهم اليوم ؟؟

أين مكانهم في مجتمعاتهم ؟؟

هم المعبودون لا يتصفون من طالم . ولا يقيفون من ضم محرومون من حقهم في
الاحياء، ومن حقهم في الرفص...!!

وإن فيهم لكثيرين وكثيرين من الذين قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم - "رب أشعث أعر مدفوع بالأبواب. لو أقسم على الله لأبره" !!

بينا في الآخر من قال عنهم الرسول الكريم - "إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة"

وهو - طعاً - لا يعني سمة الجسم ولا عظمة الروح إنما يعني سمة لعرور والخيلاء وانطش، كما يعني التعاطف الخافي والمتالي والمستكر !!

كما وصح - عليه السلام - هذا المعنى في حديثه الصحيح - "ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف، متضعف، لو أقسم على الله لأبره - ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل، حواط، مستكبر...!!"

والعتل، هو العسط النفس والطباع. والحواط هو الخموع الموع، المحتن

شهر الإيثار

مدح الله سبحانه المتقين فقال ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر ٩]

يوق شُحَّ نفسه، فأولئك هم المفلحون - [الحشر ٩]

والإيثار مرله يبلعها المؤمن سحاوة نفسه وحوود يده . وهو فخر للشح الذي يقضي بالإسنان إلى السحل الدميم ..

يقول رسولنا عليه الصلاة وأركي السلام - "ياكم والشح ! فإن الشح أهلك من كان قلبكم . أمرهم بالبخل، فحلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا "!! قال علياً ما الشح هو الحرص علي ما لا تملك فإذا ملكته، حلت به والشح بأمر بالبخل ويدعو إليه ويحرص عليه كما يستبين من حديث رسولنا الكريم بيها صده ، وهو الخود بأمر بالسحاء ويدعو إليه، ويحرص عليه.

والله جل جلاله، لم يرص لأحبابه المؤمنين إلا أعلي مارل السحاء وأسماها متمثلاً ذلك في خلق "الإيثار"!!..

و لإيثار أن تعطي غيرك ما أنت إليه محتاج مؤثراً بإياه علي نفسك . وكذلك فعل
 "الأنصار" مع "أنصار حرس" حتي أكرم الله عليهم هذا الشاء الذي تتصائل أمامه الدنيا بها
 فيها . فقال سبحانه عنهم ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ١١ [اخشع ٩٠]
 و يفيض "الإيثار"، "الأثرة" وهي رديلة مستهجة بل مستفححة لأنها تعبر عن
 الأنانية العبيصة والمقبة التي لا تطوى عليها حواش مؤمن صادق الإيثار ١١

يقول نبي الأمان - عليه وعلي آله وصحبه صلاة ربنا وسلامه - "السخي قريب من
 الله قريب من الجنة قريب من الناس "والخييل بعيد من الله .. بعيد من الجنة ..
 بعيد من الناس" ١١..

والمؤمن دائماً جواد، معطاء، صاحب إيثار

يجود بالنفس إذا ضمن البخيل بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ولقد دخل أصحاب الرسول رحاب الجود من أوسع الأبواب فما كانوا يفعلون بهل
 أو حياء أو عافية ١١..

كل نفع للناس يجودون به .. ومن لم يكن معه شيء فقط يجود به كان يفعل عجباً . ١١

واقروا هذا الحديث:

ذات يوم استشرق الرسول الكريم وجوه أصحابه الخافين حوله وقال: «أبعثر
 أحدكم أن يكون مثل أبي صمصم» ١٢..

فإن أصحابه وما شأن "أبي صمصم" يا رسول الله ؟

قال كان إذا أصبح كل يوم يدعو الله فتلا "اللهم إنه لا مال لي أتصدق به علي الناس
 وإن أشهدك أبي قد تصدقت عليهم بعرضي فمن شئني أو قدومي فهو في حل من أمري
 وإن عاف وله مسامح ١١..

إلى هذا الذي الخليل والليل كان شعب الصحابة الكرام بالحدود وبالعطاء وتقديم ما
يمكنون بل وما لا يمكنون من الخير والبر للناس 11.

ما يملكون تدله أيديهم السحابة..

وما لا يملكون تدله بياعهم الرصية «وإنما الأعمال بالنيات»

وجود المؤمن يحمي حاله من شوائب الرياء والرعة في الشاء".

إن شأنه شأن كل ما يتقرب به المسلم إلى ربه . ليس لله فيه شركاء من هوى ولا من
نفس بل ولا من هاجس غير مرغوب !!

ذلك أن الله سبحانه وتعالى أعني الشركاء عن الشرك

ومن أصل من يحسب أنه يسعى إليه وهو يسعى في هواه 12

إنه كما يقول الشاعر:

ما بال عيبك لا يقرر قرارها وإلام ظلمك لا يبي متبطلا

فليس ف تعلم أن ميرك لم يكن إلا إليك، إذا بلغت المنزلا

وما نحن أولاء بطلنا اليوم شهر كريم .. كان الرسول فيه أجود من الريح المرسلة. 13

وليكن حودنا في رمضان تدريباً لاستمرار الحدود وتكوين عاداته في غير رمضان..

إن كل ما يبدل من حيز إنما يقدمه لأهسا، وسنجد عند الله يوم لا يفع مال ولا

يؤن.

ضعف الطالب والمطلوب !!

هل لعروور الإنسان نهاية ؟؟

لا إدا هو استسلم له، وأحدته العرة بالإثم وهوى إلى حضبص الأناية المقسته
هناك يسمو مع الأيام عروره، وتحمل مواريه وسوء تقديراته وبصر فانه
ولطفاً حدربا القرآن الكريم من العرور، وهو يحربا دوماً، ويذكرنا أبدأ شأنا الأولى
من طين وينشأنا الثانية - من ماء مهين !!

وما أروعه وهو يصرب لنا هذا المثل فيقول ﴿إِنَّ أَلَدِيَّ تَدْعُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَنْ تَخْفَوْا دُبَانًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج ٧٣] ﴿وَإِنْ يَسْأَلُكُمْ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِدُّهُ
مِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْعَظْلُوبُ﴾

فادا كان هذا شأن من معظمهم إلى حد العادة، فما ثالث بالآخرين !!؟؟
وما أحمل وأفضل وأدكى إحانة سيديما جعفر الصادق رضي الله عنه على سؤال الخليفة

السياسي الكبير، وقد راحت دابة تراوغة وبرعحه، كلما هتتها على مكان في وجهه،
طارت لتسقط على مكان آخر.

هناك سأل الإمام الصادق رضي الله عنه:

«لماذا خلق الله الذباب؟»

فأجاب: «ليدل به الخابرة!!»

صدق والله ومن هنا ندرك المعنى العميق للآية الكريمة ﴿وَإِنْ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ لَا
يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صُغْفَرٌ طَائِلٌ وَالْمَظْلُومُ ۚ﴾

وآفة الصالحين من الشر ماثلة فيما ذكره القرآن العظيم ﴿فَلَا تَعْرُتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا تَعْرُتْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ۝﴾

فانعروا بدفع الأشقياء من المصائب به إلى كل موقعة وبالنزول إلى الخسران المين.

وكم هي رائعة هذه الحكمة التي بقولها أحد مفكري العرب "العرورة يمحها الله
لصغار النفوس"

وهو إذ يعتبره "همة" و "يمحها الله" فإنه يستخدم هذه الكلمات وهذا التعبير
للسحرة من المعرورين، والعث بأفذارهم، ولذلك نعهم بأهم "صغار النفوس"!!

وبك لتعاري في تفكير كل معرور!!

ما اندي بحمله على العرور. وهو كما ورد في الأثر "أوله نطقة قدرة. وآخره جيمة فطرة
وهو بين هذين، يحمل العثرة"!!!

أنجمه على العرور سلطانه؟؟ إن السلطان كثير اما يكون نكة النكات على صاحبه!!
أنجمه عليه ماله؟؟ إن المال عرص راتل هو اليوم بيده، وعدا بيد غيره ثم انه فتنة
شديدة نوبال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ أَنْزِلُكُمْ فَتَةً﴾!! أنجمه عليه صحته وقوته؟ فأين هو من
مفاجآت الأمراض والعلل؟

لماذا الإلحاد والإيمان حق ؟!!

على الرغم من أن موجة الإيمان عالية، تحمل فوق شحها الكثير من المؤمنين
والمتدينين على اختلاف مشاربهم ومشاربيهم.

على الرغم من ذلك، فإن موجة الإلحاد عالية هي الأخرى، تحمل فوق شحها الكثير
من المنكرين والملحدين.

وفي عصرنا هذا تنسى الإلحاد وتختص عليه منظمات كبرى ودول شهقة، وتسري
سمومه في أوصال دويه مجرى الدم، ويجد فيه الكثيرون راحة من الصوائط التي يرضيها
الإيمان على سلوك الإنسان، أو راحة من المعاناة الفكرية التي تجعل الإنسان حائراً صغيراً
بين الإيمان واللا إيمان.

وفي رأي أن الإلحاد موقف فكري يبد أنه يتسم بالإحباط والصلال ومدة موقف
فكرياً حيث يعجز عقل الملحد عن إدراك وجود الله، فإن طريقة انتباههم معه يسعى أن

تكون الحوار والمناقشة إنه مدّ تبيين الرشد من العبي صار الإكراه على الإيمان أمراً غير مرغوب فيه.

يقول الله سبحانه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة ٢٥٦]
ويقول محمداً رسوله عليه السلام. وكأنه يعاتبه ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ﴾؟! [يونس: ٩٩]

إن الأمر يبدو سهلاً ويسيراً إذا كانت الخلاقات بين المؤمنين والمنكر ترجع إلى أربعة
الصادقة في الوصول إلى الحقيقة لكنها تبدو عكس ذلك إذا كان الملحد يصدر في إحداه
عن عدد ومكافأة وزعمه مصححه في تحدي الله العلي الكبير

مع تقدم الكشف العلمي ظهرت أسئلة كثيرة عن الله. هل هو موجود؟ وكيف وحد؟
وحسب كثير من المتعلمين أن العلم مسحور على الإيمان، وسيرفع راية الاتحاد غالب لا
سبي وهو يسأل بصوت مرتفع وبكلمات كبار إذا كان الله خلق الكون فمن خلق الله؟
وسى هؤلاء أن الله ليس مادي؛ ومن ثم فمن غير المستطاع أن يصل إليه بالطرق
المادية، كما أن من المؤكد الذي لا يتطرق إليه الشك أنه ليس هناك شيء مادي يستطيع أن
يخلق نفسه والدين يقولون إن الكون خلق نفسه، يصور الكون بالأكوهمية، ومعنى ذلك
أنهم يعترفون بوجود إله.

يقول عالم الطبيعة الكبير "جورج إيرل دافير" في كتاب "الله يتحدى في عصر العلم"
"إنه كلما ارتقى وتقدم تطور المخلوقات، كان ذلك أشد دلالة على وجود خالق من
وراء هذا الخلق. وإن التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون، هو ذاته شاهد على
وجود الله، فمن حريثات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراع شأت ملايين من
نكواك والحوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تحضغ لقوانين نشأة
يعجز بعقل الشري عن الإحاطة بمدى إبداعها، وقد حملت كل درة من درات هذا
الكون، بل كل ما دون الدرر مما لا يدركه حس، ولا تتصور صغره وصاآته عقل قوانينها
وسبها وما ينبغي لها أن تقوم به، أو تخضع له"...

أجل تلك من أدت ربما الكرى أن كل شيء في هذا الكون حتى ما هو دون الدرة قد أعطاه الله قانونه ومنهجه ووظيفته

يقول القرآن الكريم ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۚ [طه ٥٠] أي أعطى كل شيء قانونه وجعل له طبيعته ثم هدى وأعطاه المقدرة على تعيد هذا القانون وإنجاز تلك الوظيفة.

وفي رأيي أن قصة الإيمان ليست موضوع الدين وحده بل هي كذلك موضوع العلم والفلسفة والفكر والعقيدة وموضوع الحياة كلها فجميع الكائنات العيب في هذا الكون الكبير، وبشيء في كوكبا الصغر تدفعها قوى باطنة إلى استشراف العيب، وتتبع الخيوط التي تهدي إلى أسر الأكر سر القوى الأعلى الذي حلل عالمنا القدر وأهمه سسه وقوايسه ونظامه المحكم الوثيق.

كل إنسان تدنيه هذه الأسرار فما من يسير إليها متبعاً خطأ العلماء وما من يسير متبعاً خطأ المرسلين والأساء

ليس معنى ذلك أن الإيمان في عسى عن الدين - بل معناه أن كل ما في عالم الإنسان من فكر وعمل وروح تهدي إلى الله وتدل عليه.

وإد صل إنسان طريقه فليس العيب مائلاً في عدم وجود الأدلة الكافية بل العيب في المطار الذي ينصر به الحقائق، وحين يصطط منظاره فإنه يصدف حينئذ الكثير من الوصوح.

ولطالما نادى الله سبحانه قواها المفكرة لتصل إليه وتراه من خلال عظمته وقدرته المتسدين في الأرض وفي السماء بقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ سَمِعُوا فِي الْأَرْضِ مُسَوِّدُونَ ﴾ [الروم ٩٠]

﴿ قُلْ سَمِعُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ [العنكبوت ٢٠]

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَنْ يُخْرِجُ النَّحْيَ مِنْ

الْمَمْنَةِ وَيُخْرِجُ الْمَمْنَةَ مِنَ النَّحْيِ ۚ [يونس ٣١]

﴿مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ حُلُلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رُوسًا وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [العمل: ٦١]

﴿ونرى لَحْمانَ تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرًّا السَّحابِ صُتِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَسَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[العمل: ٨٨]

﴿إِنَّ فِي حَنِي كَلِمَاتٍ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَا يَسْتَوِي الْأَلْسِبُ﴾

[آل عمران: ١٩٠] ﴿وَصَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَسَيَ حَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾

قُلْ يُخَيِّبُهَا تَدَى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ حَنِي عِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]

آيات كثيرة حاطب الله بها العقل ليهديه بها إليه، ويدله عليه وهذا يعني أن الإيمان

نجربة قل أن يكون إدعاء، وبطر بالعقل قل أن يكون تلقفًا بالشعور.

ومن أحل هذا برك الله رسوله إبراهيم أما الأنبياء بعالي سواكبر النجربة وحده قل أن

يتلقى من الله وحبه. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكُبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْأَفْلَاقِ﴾ ﴿فَدُمَارًا الْقَمَرِ نَارًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِيَدِي رَبِّي

لَا كُتُوبٌ مِنَ الْقُوتِ لَصَّالِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ

فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِضُ مَا يَرَى مُعَا شُرُكُوكَ﴾ ﴿إِنِّي وَخَّيْتُ وَخَيْي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ خَافًا وَأَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦، ٧٩]

وهكذا كان يصع إبراهيم عليه السلام المروص ثم يافسها ويعحصها.

أي أنه سلك طريق العلم اليوم إد العلم يقوم على المروص لأنها توجه العمليات

التي تكشف عن الحقيقة..

والمروص - كما يقول جون ديوي - ليس هناك حدود لمداها ولا لعمقها فمهما

مروص ذات محال محدود تكيفي، ومهما مروص تنبع من السعة اتساع الخبرة بمسها

وقد يسأل سائل كيف يصل إلى الله عن طريق العمل، والشك أول وسائل العمل

وأدواته؟

والجواب نعم والشك بضمه طريق الإيمان . لقد سأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى . فسأله الله أولم تؤمن؟ قال بل ولكن ليغتمن قلبي

ويجربنا الله سبحانه عن الأزمات النفسية العاتية التي كانت تلم بالرسول أنفسهم فيقول سبحانه ﴿ حَتَّى إِذَا آتَيْنِ النَّاسَ الْبُيُوتَ وَمَنْهُمْ يَنْصَرِطُونَ يَصْغَرُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ١١٠]

ولقد شكوا بعض أصحاب النبي ما يعترضهم من شكوك في وجود الله، فقال لهم الرسول مطمئنوا: "هذا محض الإيمان"

أي قبل أن تقول العليقة شك لتعرف، بقرون طويلة جعل الرسول الشك طريقاً إلى يقين!

ولكن كيف يأتي الإلحاد؟!

إن له حيليات كثيرة تدفعه إلى إعراء النفس وإغوائها، من هذه الحيليات والدوافع أن تعودنا أن نسمع اسم الله مقروناً بالأمر والنهي . فكل دعوة إلى فضائل يشق على النفس إتباعها، وإلى ردائل يشق على النفس تجنبها إنما سعت من الله وحسن سي الإنسان صروح بالشهوات موح، وكل قوة تحاول صدنا، والوقوف في وجه عرائث لا تقبل مسا بالارتياح

وما دما بهم أن الله هو الذي وصح الشكائم لنا، فهو إذن المسئول عن الشائص الويل الذي يعابه في علاقته بهذه الأخلاقيات فإذا استحسنا لها مرقنا الشهوات المكيوتة المحتاجة

وإذا بكص عنها حطما عذاب الصمير والخوف من عذاب الله، ودحص هذه الخلقية يسير، فالأخلاق ليست وصية الدين وحده بل إن الحياة الإنسانية مد وعت نفسها وهي توقن أن الاستمرار بلا أخلاق محال.

هي - مثلاً - لكي تنمو وتطرّد لابد أن تمجد العدل ونصع الظلم، تمجد الأمانة،

وتسقط الحياة . نحترم الصدق ونتمنح الكذب . وندافع القتل والسرفه والفاخشة .
والقدون الخلقى ضرورة الحياة الإنسانية والكفر بالله لا يخل من تبعات هذا القانون
ومسئوليته

وبكر وحود الله لن يحبك من العقاب الذي سير له بك عتمةك إذا حست،
أوسرقت، أو قتل، أو انتهكت حرمة ثابتة.

من هذه الخلفيات أيضاً ارتباط الإيمان بالدين . فالدين وإن لم يكن الصوت الواحد
الداعي إلى الله، إلا أنه أول الأصوات وأعلاها ولأن الدين قد تعرض لأزمات كثيرة،
وتعطلت عليه كثرة هائلة من الأكاذيب والخرافات، فقد أصيب الإيمان معه وصار
كثيرون ممن يرفضون الدين يرفضون الإيمان أيضاً.

وهذا جهل بين وخيف عظيم، فالعسفة، والفن، والعلم وكل تراث العقل الإنساني
قد تقهقه وتطفل عليه ما ليس منه . ولم يكن ذلك يعني إنكاراً لأهداف هذا التراث
وعاياته وحقيقته!!

لقد سبق الدين إلى اهتمام بوحود الله ودعوة الناس إلى الإيمان به لكي يعلموا بهذا
الإيمان أعلى مستويات الخير ورفع النفس ولكن كان هناك تطفل على الدين من
الأكاذيب والأساطير، فإن هذا التطفل لم يزل من الدين إلا بعض أشكاله الخارجية أما
روح الدين فقد بقي زاهياً صافياً نقياً..

وروح الدين يتجلى في الإيمان بالله واحداً، لا يحايى ولا يظلم . وذلك يعني تحرير
الإنسان وعقله من عبادة الألهة المصنوعة والمصنوعة، كما يعني تحريره من أرباب الأرض
الذين ظلموا ساءوا الناس حسفاً ورهقا، وملأوا حياتهم فساداً وبعثاً

وروح الدين يتجلى في اهتمام بخلود الروح الذي هو أعظم تكريم للإنسان إذ معنى
هذا الخلود أن الإنسان ليس مخلوقاً عادياً، وأن الموت ليس هباء كليا له . بل هو انتقال إلى
عالم النقاء والخلود.

وروح الدين يتجلى في إعلان أن الإنسان مسنحلف في الأرض إذ هو ارتفع بالإنسان

إلى أعلى مقامات الخلق، وإرهاص بأن هذا الذي صرح الله فيه من روحه سيذهب صاعداً حتى يبلغ في معراج الارتقاء ما لا يحظر بهال.

وروح الدين تتحلّى في دعوة الإنسان إلى الإيمان بالغيب إدا في هذا الإيمان تحطيم لقوى الحجر على المستقل، وتشجيع الإنسان على اقتحام المجهول وكشف ما وراءه من أسرار. ومن الخلفيات أيضاً رصف العلم وتفوقه فكثير من الناس يظنون أن العلم قد ورث الدين ولم يعد للدين دور يؤديه وهذا جهل قاصح بقدر ما هو و صبح، لأن العلم في مفهومه الحقيقي تركبة للدين وتفسير له

ولطالع إدا شئنا كتاب "العلم يدعو للإيمان" وهو لعالم يهودي شعنته فصبية لعلاقة بين العلم والدين فقال في هذه العلاقة رأياً حصيماً
وهناك واحد وثلاثون عالماً من كبار علماء أوربا قد انتقوا في كتاب "الله تتحلّى في عصر العلم" وأثبتوا جميعاً أن العلم ليس ضد الإيمان بل هو صديق له ورميل.



وبعد، فقد حدثنا عن الله كثيراً الأسماء والمرسلون، وهم أدام عاشوا حياتهم في أعلى مستويات الصدق والخلق الرفيع لماذا يصدق الدين بحدثونا عن القوى النووية، ونحن لم نر شيئاً من أشيائها؟ ولماذا يصدق الدين بحدثونا عن الأشعة "تحت الحمراء" ونحن بوجودها ونحن لم نرها؟!

لماذا يصدق الدين يقولون لنا إن سرعة الضوء هي ١٨٦٠٠٠ ميلا في الثانية الواحدة ونحن لم نشترك في هذا القياس لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

قد يقول قائل إن الأمر مختلف لأنك تستطيع التأكد من هذه الحقائق إدا أحدثت مكنك في أي معمل أو مرصد

وهذا حق - بيد أنا نستطيع أيضاً أن تأكد من صدق الدين يدعون إلى الله إن أحدثنا مكاننا في معاملهم ومراصدهم

ومعاملهم ومراصدهم من نوع آخر نوع يستطيع كل إنسان أن يمتلكه إدا جلا روحه

وأيقظ كل قوى نفسه الفاضلة، واستخدم المناطق المحيطة من عمله وبصيرته
 في الإيمان الديني كإيمان العلمي كل منهما نوعان إيمان رؤية . وإيمان تصديق
 وإيمان الرؤية في العلم، هو إيمان العلماء الذين اكتشفوا النظريات واخفائق بأنفسهم
 وإيمان التصديق في العلم، هو إيمان الملايين من البشر الذين لم يمارسوا التحريه
 بأنفسهم ولكنهم صدقوا لأنها تحمل دلائل التصديق
 كذلك إيمان الرؤية في الدين هو إيمان الأنبياء والمرسلين والهداة الذين عاينوا،
 وشاهدوا، وذاقوا .

وإيمان التصديق في الدين ، هو إيمان الكافة

فإذا صممت على أن يكون إيمانك الديني إيمان رؤية، فاصنع إذن ما يجب عليك صممه
 حين تريد أن تكون إيمانك بحقائق العلم إيمان رؤية
 مارس تجربة الإيمان والعادة نفسك وتسل إليها بكل قلبك وروحك واسدل جهودك
 مشيراً دعوياً، فسوف يتجلى لك الله كما تجلى لغيرك!!
 إن آلاف العصور والأحقاب التي عاشتها البشرية فوق هذه الأرض قد شهدت حبساً
 دنيئاً من أساس، وتطلعاً مستمراً إلى الله وفي كل فرد ما - إلا من شد وألق - يروع يذكرنا
 بأن لنا خالقاً وبارئاً ومُشِئاً

أولا يدل هذا الروع على شيء؟ ألا يدل تصميم الخلق مد وجدوا على أن هناك قوة
 عبا، عليهم أن يحثوا عنها ويشدوا رحالهم إليها - ألا يدل ذلك على شيء؟^{١٤}
 سيقدر لقد طر الناس مد وجدوا مصممين على أن الأرض مركز الكون حتى جاء
 يوم تحووا فيه عن زعمهم وتصميمهم.

أحر ولكنهم تحلوا عن زعمهم القديم لأن العلم مدم لهم يقساً عرفوا به حقيقة
 وضع الأرض فهل قدم العلم نقياً مماثلاً يفي وجود الله ^{١٤}

كلا بل إن العلم كلما أمعس في فتوحاته إرداداً سهاراً وإرداداً تواضعاً، وإرداداً إيماناً بأن ما يجله أكثر مما يعلمه، وأن الأسرار الكبرى التي تنكشف له أكبر من أن تكون تلقائية النشأة عفوية المسير..

وبعض العلماء الذين تعجلوا الرأي وافتأثوا على الحق لم يريدوا على أن أخذوا كل الصفات المنسوبة لله، ونسبوها للمادة.. ١١

فماذا يسهل عليهم - وهم يرفضون الصدقة كمحرك للكون أن يؤمنوا سادة علمية حكمة قدرة، ويصعب عليهم الإيمان بأنه عليم حكيم قدير ؟



إنا لا ندرك مجال الحياة وسموها إلا في تلك الأوقات التي نحس فيها أننا مسيطرون تماماً على أنفسنا، وحياتنا، ومصايرنا

ومن عجب أن لا شيء يتيح لنا ذلك مثلما يتيح الإيمان بالله وفق المفهوم الصحيح هذا الإيمان وإد فقد الإيمان بالله لبذل - أول ما يدل - على فقدان الاستدرة والفهم، وفقدان استقامة التفكير والصمير.



وقف مع الفكر الديني

عندما ظهرت أحداث التطرف الديني، وفاحأت العالم الإسلامي متدنة معرو

المسجد الحرام واحتلاله من جماعة متطرفة..

أقول منذ ظهر هذا التطرف في مساساته المختلفة والمفكرون المسلمون - على قلتهم - يصرّبون أحساساً في أسداس مدهولين وأخمين بعضهم راحس قرير العين، وإن كان يحصى رصاء وراه قناع من التساؤل والدهش والانعراج . وبعضهم ينكره إنكاراً حقاً ويحاول تمحيص واستشراف أبعاده.

غير أنه كان من الواضح لكل من يقف، ويظفر، ويسمع أن جوهر الأزمة والمشكلة ماثل في حجر الفكر الديني عن القيام بمسئوليته عن تجديد نفسه

لقد ملأ الفكر الإسلامي ذات يوم أرض الإسلام حصوبة وهياًها للعطاء العظيم وحتى في العصور والخفت التي كان الاستبداد السيامي يحكم السلا والعباد، لم يتوقف هذا الفكر عن العطاء - وكان الاجتهاد وما يتسديه من اختلاف في الرأي يملأ حياة المجتمع الإسلامي توهجا ودكاء ونورا..!!

وفجأه وقف الفكر الإسلامي وتحمّد، وسدت العواعة أمامه المسالك، ومضى الفكر يتمدّد العواعة، ويحاف من الخهر بالخمسة والنصف الثاني من القرن العشرين يعطيه انبرهان على صدق ما يقول..

كان هناك قلة من العلماء والمفكرين حرجب على السائد المألوف. أرادت أن تؤدي واحدا في تجديد الفكر الديني بيد أن جهادها وجهودها كادا، أو هم قد ضاعا فعلا في حصم الربد الراعي والموج المريد المهتاج

واليوم يرداد الفكر الديني جهوداً ولا مسالة ويقف أمام التفسيرات الخاطئة بلدين موقف الأرب التي تقف مذهولة أمام الأفعى " وقد تولد هذه الاستكانة شعوراً صريحاً، ليس ورحم الخانع لكنها في نهاية الأمر تدفع بالفكر الديني كله إلى أهوة التي يحيل إليه أنه يتعد عنها !!

و مجتمع إسلامي الذي كان من واجب الفكر الديني المتحدّد أن بقوده تأخذ الحرة تناسسه، ولا بدري " أشترأيد بمن في الأرض أم أراد بهم ريثم رشداً " [الحز ١٠]

ولكن أس الرشدا إذا كان الفكر الذي هو وسيلة وسيله قد تاه في انطيمات ١٩ يقولون إن باب الاحتهاد معلق، ومن ثم فلا سبل لكي يحدد الفكر الديني نفسه. متى أعنى هذا الباب، ومن الذي أعلقه؟ إنها إحدى الطرائف والمكاهات !!
فباب الاحتهاد في الإسلام مفتوح منذ برلت آية " قرأ بأتمريتك ندى خلق " (المعلق ١) إلى يومنا هذا وإلى العبد وإلى الأبد !!

ولابد للمفكر الإسلامي حتى لا يأس من أن يحدد نفسه وبفهر كل عوامل انكود والتخلف.

إن هناك عادات نمشت في المجتمع الإسلامي حتى صارت طبيعة ثابتة له من هذه العادات كراهية الذكاء !!

إن كثرة هائلة من العلماء يخافون ذكاء أقرانهم ويحاربونه.

ويؤلمون عليهم العمة إذا اكتشفوا المفكر الديني طرائق حداثاً
ولا تصاب أمة في حاصر ها وفي مستغلها بمثل ما نصاب به سيجة مقاومتها الذكاء
فيها

وهذه آفة نحتاج كثيراً من المجتمعات الشرية التي لا تشجع هذا الذكاء إلا حين يكون
طريقها إلى البرهنية، أو إلى المرید من فرعات الموت والحرب والدمار!!
ومن ثم هي تحاربه إذا أن أن يتمتع في الدين روح الحياة بما يصطع من وسائل حرية
لتجديد الفكر الديني وتوشيده.

يبد أن هذه الآفة - محاربة الذكاء - ها في المجتمع الإسلامي طابع الشره والخسدة
والافتيات.

إذا كب بعض علماء أوربا في العصر القديم قد سفقوا إلى السجون والمقاصل لمحاولتهم
تفسير الدين بالعلم، فقد انتهى ذلك اليوم، وحل بدلاً عنه رعاية الجهود التي تنوحي
هذه العناية وشجعها لكن في مجتمعنا الإسلامي لا تزال الأحكام بالكفر تطارد الأحياء
بل والأموات إذا حاولوا أن يرححوا الإسلام العظيم من التقوقع الذي يريده له
المجاهدون.

أنا لا أعالج ها قصبة النظر، ولو كنت أعالجها لوجب أن يصع في حسابنا روح
العصر الذي نعيشه، فالتطرف يعطى وجه الأرض واحتطاف الطائرات والأفراد بطير
ودية يهرصها المحتطعون أقرب دليل على هذا والأعمال الخوية والإجرامية التي تقوم
بها دوة إسرئيل دليل على أن نعيش في عصر محول التطرف أبرز سماته

يجب ألا نسي أن نعيش في عصر الذرة بكل ما يكتنفه من أهوال وهذا وحده كاف
لأن نعيش الأساس بعير عقول ما داموا يسمعون - مثلاً - أعظم رواد هذا العصر
"أيشنبن" بقول "إن إطلاق تيارات صحمه من النشاط الإشعاعي قد يؤدي إلى إبادة
الحياة كلها فوق الأرض"!!...

يجب أن ندخل روح هذا العصر التعس الذي يتحد التطرف فيه شكلاً وبائناً سواء من

الأفراد أو من الدول في حساب.

إن المواطنين - كما يقول علماء النفس - مُغذية وما يحدث في أقصى الشهور مساء اليوم، ينتقل إلى أقصى الخوف في صباح اليوم التالي
فليكن ذلك في حساب الدين يعالجون مشكلة التطرف، ولبعد نحن إلى حديثنا عن
العكر الديني ووجوب تجديده وترشيده.

فما إن كراهية الدكاء والحق عليه يلعبان دوراً كبيراً وسيناً في قمع العكر الديني
المتحد

يقول "نرتراند رسل" "إن الخوف من الدكاء العام هو أحد، لأخطار الكبري في
عصرنا الحاضر، وهو من الأمور التي يجب أن تعالجها المدارس والجامعات قبل غيرها.
فلو أن المعلمين والمسؤولين في التربية كانوا أشد إدراكاً لسوء الشخص الذي يحتاج إليه
العالم الحديث، لاستطاعوا خلال حمل واحد أن يكوّنوا الرأي الذي يصب وحه الأرض
ولكن منهم، الأعلى في الشخصيه الإنسانيه لا يزال عتيقاً، فهم أشد ما يكونون إعجاباً
بالصفات التي تكسب صاحبها القيادة في عصاه لصوص". !!!

إن ما ذكره "رسل" عن العواقب الوخيمة لاصطهاد الدكاء الإنساني في محاولة تكوين
الرجل المثقف، هو تماماً ما يصادف أثناء اهتماما تكوين الرجل المتدين

المقود لا يسعى أن يوضع في أيدي العامة أبداً بل يجب أن يبقى ويظل في أيدي قادة
العكر الديني يحددون ويخلقون ويبدعون.

يجب أن تتوأك أهداف الدين مع أهداف الحياة، لأن كليهما الدين والحياة - حق -
ولا يعارض حق نفسه أبداً.

وفي ظل هذه الحقيقة نستطيع أن ندرك ماذا يريد تجديد العكر الديني.

إن ارتفاع الإنسان من بداياته العامصة إلى عظمته المائلة، لا يمكن أن ينهدم ويستكس
بهوة الدين ولا سوحبياته . وإنما نحن الذين نريد ذلك نعيشنا !!

لأضرب لهذا مثلاً قريباً..

حددوا الطريقة التي يدعوا بها الوعاظ والعلماء والمؤلفون إلى أخلاقيات الإسلام. سجدوا للاعتماد على السوءي الصارمة، والدعوة إلى إنكار الذات ودينها . وكان التدبير والحياة الفاضلة لا يتحققان إلا بهذا الأسلوب من الإذابة والتحقيق، وإلا هذا القدر الرهيب من الرعب القاتل إن إدمان الإحساس بالذنب عمل غير صالح، ولا يمكن أن يكون طريقاً في حياة ناجحة.

وإن الإسلام مهما تكرر الكوايح والروايع التي يقوم بها السيئ الخلفي، لا تدع هذه الكوايح وتلك الروايع تعمل بمعزل عن رعيته الصادقة في تحرير الناس من خوف لظنر مثلاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم " كل ابن آدم خطاء. وحير الخطائين التوائون" ..

وقوله " لو لم تدسوا الذهب الله بكم ولحاء بقوم يذنبون فيستعقرون فيعمر لهم" وقوله، وقد مر وأصحابه على أم تصم رصيعها إلى صدرها في حيا رطب " أنزروا هذه طارحة ولدها في النار؟؟" قال أصحابه كلا يا رسول الله ؛ فقال عليه الصلاة والسلام "والذي نفسي بيده، لله أرحم بعبده من هذه مولدها"!

ولظنر قول القرآن العظيم ﴿ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا أَلَمَتْهُمُ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَغْنَى بِكَ إِذَا دُشِرَ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أُشْرَ أَجْنَةً فِي يُطُونَ أُمَهْتِكُمْ ﴾ [الحجم: ٣٢]

وقوله سبحانه ﴿ إِذَا دُشِرَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ يشير إلى المؤثرات البيولوجية التي تعمل فينا بوصفنا خلقاً من تراب وطين

وقوله سبحانه ﴿ وَإِذَا أُشْرَ أَجْنَةً فِي يُطُونَ أُمَهْتِكُمْ ﴾ يشير إلى قانون الوراثة الذي يعمل فينا عمله الباعد المهيمن.

يعجسي في هذا المقام حكمه قائلاً كاتب أوربي "كل امرئ ما عورة كبيرة، يركبها جميع أسلافه" !!!

فهذه النصوص وكثير معها يستطيع الفكر الديني المتحدد أن يفقد بها النفس الشريفة قوًداً جميلاً وديعاً إلى مرفأ المصيلة والخلاص

إن كثيرين من الوعظ والعلماء يشعرون بعقبة طروب عندما يظنون أنهم أدوا واجبهم وحققوا السعادة لأنفسهم بإبرال الألم والخسرة بالأحرى

ثم إسما بحاجة إلى طرق للتفكير تتلاءم مع تقدمها العلمي - غير مترمنة متشككة في الفكر والعقل "

به لولا اتحديد الهائل للتفكير الديني الذي اصطلح به فقهاء الإسلام الكبار وأئمة اعظام نطل الإسلام يعيش داخل ثياب صبيقة، وآفاق معلقة

ويجب أن ندرك أسما بالحجر على الفكر الديني وعدم تحديده وبرشيده إسما بحمل ودر معظم المدحدين والمتشككين الذين يعطون ظهورهم للدين

يقول الفيلسوف الهندي "راداكرشن" "إن المثقفين في هذا العصر الحديث يلحظون الموقف في هذه العبارة يعتقد بعض الناس أن الله موجود، ويعتقد بعضهم أنه غير موجود، والأمر لا يهمنا في كلتا الحالتين" !!!

يقول " وكثيراً ما دل الشك وإنكار الله على أسامر ملحظة من لحظات الحدين في تاريخ الدين، وعلى أسما - الشك والإنكار - من الوسائل التي استخدمها الإنسان يستريد من معرفته بالله، ويحرر نفسه من الآراء الدينية المعوجة "

فكم يسدي الفكر الديني للتائبين من صلاح ونور إذا هو عاش في واقع الحياة وأحد بأيدي الخائرين، وقدم لهم جوهر الدين كما أراد الله هدى ومجالاً للحياة ١٩

كم يعجسي دعاء الأوسئاد الهندي. " اللهم أرحمني من غير الواقع إلى الواقع ومن الظلام إلى الصياء .. ومن الموت إلى الخلود ".

وعلى أن نذكر أن المعائد التي تتحدى العلم إما تنصهر في نفس الوقت ولنفس السبب إفرارها بالإفلاس . بيد أنه لا بد أيضاً من إدراك أن العلم ليس من جهة إصدار أحكام نهائية في قصص وحقائق عالجها الدين، ولم يصل هو إلى كشفها بعد أجل، لا يسعى أن يستبدل كهوت رجال الدين كهوت رجال العلم، ولا يسعى أن يصيب ثراء الروحي في سبيل قصايا لا يملك العلم دليلاً قاطعاً على صحتها . وباتساع حرائق العلمية دور أن يقابل ذلك نمو في الحكمة الدينية دليل على تفهقها لا على تقدمها

وعلى المسلمين إذن أن يدركوا - قل قوا الأوان - أنهم في حاجة شديدة وأكيدة إلى تجديد الفكر الديني وتقديم الإسلام في جهاته الواسعة الرحمة العظيمة وعلى مكريهم أن يدركوا روح العصر نفس القدر الذي يدركون به روح الدين ويقول الفيلسوف والشاعر المسلم "محمد إقبال" "ليس أمامنا سوى أن نتناول المعرفة المعاصرة بروح الإحلال والاستغلال والبعد عن أهوى وأن نقدر تعاليم الإسلام في ضوء هذه المعرفة ولو أدى ذلك بنا إلى محالمة المتقدمين" . . . ويقول في نوع وصي "إن السوء في الإسلام، لتلع كما لها الأخير في إدراك الحاجة إلى أنها السوء نفسها"

أجل وهذا هو معنى أن "محمدًا" حاتم الرسل، وأن الإسلام حاتم الأديان، فليس بعد سيدنا "محمد" رسول، ولا بعد الإسلام دين "إبنا هو الوحي والعقل، الوحي الذي يتمثل في كتاباته الخالدة، والعقل الذي يفتح سبيلاً جديدة للمعرفة في ميدان التجربة الدينية

إبنا يبحث عن عالم إسلامي حديد ولا بد لهذا العالم الحديد أن يشأ ويهض وسبلنا لذلك تجديد الفكر الديني. وتشجيع الملكات الإسلامية على الاجتهاد والإبداع، والكشف عن التحوم المشتركة بين روح الدين وروح العصر

واللحظة التي يدرك فيها ذلك، هي اللحظة التي نحد فيها سعادتنا العظمى، ونجتاز
بجحاح أكبر امتحان لنا

لقد كانت حركة التجديد والترشيد للمفكر الديني الخلاق أرهق ما تكون في صدر
الإسلام.

وحسبنا أن يرى هذا المفكر الثاقب يجد الحرية التي يناقش بها أكثر القضايا إثارة
للاهتمام

ومثلاً نحد أعلى مناصب الدولة، وهي "الخلافة" موضوعاً يعد فيه الفكر ويروح.
ويرى أهل السنة أن إقامة رئيس لدولة الإسلام "الخلافة" واجب شرعاً ويرى
المعزلة أنه واجب عقلاً. ويرى الأناسية وهي فرقة من الخوارج أنه غير واجب، لا
شرعاً ولا عقلاً. وأن المجتمع إذا استطاع تنظيم نفسه في مؤسسات تقوم بتوجيه حياته
ورعاية مصالحه لم يعد للخلافة مكان...!!

ومن عجب أن هذا الرأي هو الذي نادى به "ماركس" و"إنجلز" وعندما دها إلى أن
المجتمع الشري سيظل يتطور ويمو حتى يستغني عن الدولة وعن كل مظهرها ويظم
المجتمع نفسه في مؤسسات مدنية بعيداً عن كل مظاهر الدولة من حكومة وحيش
وشرطة!!!

فماذا أصاب المفكر الديني في الإسلام حتى تلد وحثت مناعه ١٩

هذا المفكر الذي اقتحم بحراته البادرة وبأمله الباسل كل القضايا الدينية والدينية

إن مستقبل الإسلام رهين بعودة هذا الفكر المتحد المتحرر والحرى الوثبات

وعندما يعود من عينه وعمرته سشهد المسلمون يوم بروع فجرهم الجديد

الجنة تحت قدميها !!

أفصحوا الطريق للمرأة الأم . إنها أجل ما خلق الله وأعم . إنها مصدر الذي لا

ينضب للحياة المتصورة .

كم هي عظيمة الأم ؟ وكم هي صاحبة دور عظيم في هذه الحياة، إن العالم كله يحرمها ويكرمها والأديان جميعاً تصنعها فوق ماكب الشر ربيعة القدر متامة المكانة .

ولكن هل كرمها دين أو فلسفة أو نظام كما كرمها الإسلام ؟!

أشك كثيراً في أن يكون للإسلام نظير في تكريم الأم، لفظ قول الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ
أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْنَهُ كُرْهًا وَخَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ؟ [الأحقاف ١٥٠]

إب صورة للمعاناة السيلة التي تعانيها الأم - كل أم - لكي تضمن للحياة الاستمرار
هذه التي تحمل الحزن بكل مصائبه حمل المحب المتيم المشعوف !! وتعاني عند
وصعه من أهول كله وقد ترهق روحها ونحسر جاراتها لتستقل الحياة وليد حديد .

ثم تعاني إرصاعه وتنشئته في تنل وحسان ويظل معبود قلبها وقلة روحها،
وأعينها العدة المعردة مهما لقيت منه من أدى وعقوق .

أحر - حتى العقوق لا ينقص من حباله، وتدللها به، أهناك عطاء أسل من هد العطاء... أهناك فداء أروع من هذا الفداء. ؟

ألا فتعش الأم - كل أم - وليرسل الله على الأمهات سكينة ورحمة ورضوانه

«الحنة تحت أقدام الأمهات»

هكذا يحدث الرسول عليه السلام وهو يوصي بالأم ويكشف عن حيل قدرها وعالي منزلتها عند الله.

مرصء الأم في الإسلام حوار المرور إلى الفردوس الأعلى، وإلى رضوان الله الأكبر

ومكانه الأمومة في الإسلام نجيحة موجهة للنساء جميعاً فالمرأة أحر الأمر أم ولود

وتكريم الأمومة تكريم للأبوة لا يعادله تكريم "

وإن من حق النساء أن يساهين الرحان ويحارهن بأهن اللاتي يولاهن لا يقرصن الحياة والدمحى وحوود الإنسان "الأم" ما أعذب الكلمة وما أقدسها إياها المصدر اندي لا يصب للحياة الراحة والمتصرة، والسايرة إلى أمام، وتكريم الإسلام لها أمر طسعي بوصفه ديناً منزلاً من عند الله، خالق الأمهات.

ألا يعلم من خلق ؟؟ بل وإنه ليعلم قل عمره ما للأم من مكانة وحظر وأثر.

ندلك علم رسول الله عليه السلام أن يعلم أمه والعالمين جميعاً بأن يحسوا الحساء للمرأة الأم، وينشروا تحت قدميها كل ما يملكون من حب وطاعة وولاء

ولقد أحسن الرسول الوصاية بالأم، ولم يكن يدع فرصة تمر إلا ويدكر بحق الأم عن البنين والبنات.

يحدثنا "أس" رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتيه في الخروج للجهاد والجهاد كما يعلم ذروة الإسلام وسامه وهو لاسيما في عصر الرسول، والإسلام بين قوى الظلام والشر تنرص به في كل حين، كان من أكثر أركان الإسلام وفضائله أهمية.

ولأمر ما، سأل الرسول ذلك الرجل «هل بقي من والدك أحد حي ؟؟»

قال . أمي ..

فرد الرسول يقول له « قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاح ومعتبر ومجاهد...!!

ويحدثنا أصحاب آخر هو طلحة السلمي، يقول أنبت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله

ولأمر ما أيضا سأل الرسول ذلك الرجل «أمك حية؟؟ قال نعم

فقال النبي عليه الصلاة والسلام «الزم رجلها، فثم الجنة»

ويحدثنا معاوية بن حاشم أن أبا حناء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت أن أعزو، وحثت أستشيرك فقال الرسول هل لك من أم؟؟ قال نعم قال فالزمها؛ فإن الجنة عند رجلها"

في هذه الأحاديث الصحاح يرى الرسول صلى الله عليه وسلم يؤثر على فريضة الجهاد فريضة معاشه الأم سائر والخير مطمئناً أولئك الذين سيحرمون من لذة الجهاد والاستشهاد بأنهم لن يذهبوا بعيداً عن الجنة ماداموا مجوار أمهاتهم بل مادام مكابهم عند أقدامهم

ونحصر في هذه المناسبة قصة طريقة تقول إن رجلين تلاحيا ونماريا حول حطهما من الجنة أو النار . فحلف أحدهما بالطلاق ليدخل الجنة وليأكل من ثمارها . ثم بدم على حنقه بالطلاق فيما لا يملك ولا يملكه أحد من الشر وراح يسأل ويستغني حتى يجد له متعدا من مارق دون جدوى..

وأخيراً هدته خطاه إلى رجل سيط من عامة المسلمين فقص عليه ساء

مسألة الرجل هل أمك حية ؟ قال نعم قال فحدها إلى حديقة مشجرة واجلس عند قدميها وكل من تحت قدميها، فإن رسولنا صادق لا يكذب أبداً وقد قال «الجنة تحت أقدام الأمهات»..

فإذا جلست عند قدميها فقد جلست في مكان من الجنة، وإذا طعمت من تحت قدميها فقد طعمت من ثمار الجنة...!!!

وهناك حديث للرسول لا يسي في هذا المقام برويه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وهو خير وسام بقلده الأم بي أو رعيم

يقول الحديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي...؟

قال الرسول: أمك !!

قال الرجل: ثم من؟

قال الرسول: أمك !!

قال الرجل: ثم من؟

قال الرسول: أمك !!

قال الرجل: ثم من؟

قال الرسول: أمك.

ألا من كان يعرف في تكريم الأم نظيراً لهذا، فليأتنا به!!

على أن الرسول لا يمح هذا التكريم للأم وحدها، بل يمح كذلك للحالة بوصفها احتناً للأم، لها مثل ما للأم من توقير وولاء

فيحدثنا عن عمر رضي الله عنهما فيقول أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: إنني أذنبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟

فاضطروا كيف كان جواب الرسول الحابي على الأم المرتفع بها إلى سموات التوقير والتقدير...

قال للسائل: هل لك من أم...؟

قال: لا

قال: فهل لك من حالة...؟

قال : نعم

قال الرسول . عليك ببرها !!!

والبر بالأم لا ينتهي في الإسلام بانتهاء حياتها بل هو موصول ودائم في كل صور
الوفاء لها ..

فالصلاة عليها، والدعاء لها، والاستعمار لها، وإنعام عهدتها من بعدها، وصلة الرحم
التي لا توصل إلا بها، وإكرام صديقاتها

كل ذلك يأمر به الرسول وفاء للأم بعد موتها وولاء لذكرها العطرة الطيبة
وهكذا منح الإسلام " الأم " أسمى آيات التحجيل، وجعلها بالسنة لأولادها بل
وللمجتمع كله الكعبة التي يُطاف حولها أثناء الليل وأطراف النهار .

إنني عندما أردد كلمة " الأم " أحدها أعذب تريمة تنفخ عنها الشفاء .!!

وفد النساء !!

مستمدة وعشرين عاماً تقريباً تقدمت فتاة أمريكية إلى عرفة التشريع والعمليات
 نحمل لأول مرة في تاريخ المرأة مبضع الجراحة.
 تقدمت لتشهد كبير أطباء "رورسرح" يومئذ وهو يقوم بتشريع جثة لرجل
 وفقر الحاضرون من العلماء والأطباء أمراهم من الدهش والعجب، وانقسمت على
 وجوههم العاسنة كل مظاهر المقت والاحتجاج
 وجابهها كبير الأطباء بقوله:
 ليس يجمل بامرأة أن تشهد تشريع جثة رجل !!
 فأجابه من فورها إجابة مكثرة إذ قالت:
 أي فارق بين أن تشهد امرأة تشريع جثة رجل، وأن يشهد رجل تشريع جثة
 امرأة..؟؟؟؟

وأراد كبر الأطباء هذا أن يمرض في إحراجها فقال إن العلة التي عصت على المريض قد أصابت من أعصائه عورة ..

فأجابته إن أعصاء الجسم كلها يجب أن تكون في عبي الطيب سواء !! ..

وهت الدكتور "بارر" والتوى لسانه الطويل تحت وطأة انطق الصدر، والحنة لداعة والبالغة

حدثت هذه الواقعة والمجتمع العربي والأوروبي على أبواب حصارته، يسارع إليها وإلى التمدن بحطى واسعة بارعة وإي لا تذكر هذه القصة النبي وقعت من مائة وعشرين عاماً لا غير وأعود بذاكري إلى أكثر من اثني عشر قرناً، فأرى المرأة المسلمة كانت تبارى الرجال أحياناً في معظم مجالات الحياة، حيث كان من النساء المسلمات، العاملات، والطبيبات والمفتيات والزعيمات ..

ولم يكن ذلك مهين نعيًا على الإسلام ولا حروحا على مادته. فالإسلام منذ نزل في أيامه الباكورة ولدمرأه في رحانه نصيب أو في من المكانة والتقدير والاعتبار

إن لمكانه نبي عمتعت بها المرأة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هي النبي صئت في روافد الزمان ما استمتعت به المرأة المسلمة بعد ذلك من تقدير

وسرجع إلى عصر الوحي ليرى النساء يلقي من العناية كل ما يلقاه الرجال

وأيا لا يسهر حين يعلم أن أيام الوحي تلك شهدت ما كان يسمى بـ "وفد النساء" !!

شكل المسلمات هذا الوفد ليكون صلة بين الرسول وبينهن يحملن إليه حاجاتهن ويثلقن منه الإجابة عليها

وكان النساء قبل تشكيل هذا الوفد يذهبن إلى الرسول فرادى حاملات أسئلتهن، وعارضات آراءهن وطبعي أن تشكيل هذا الوفد جاء ثمرة لتشجيع الرسول الذي

هكذا كان للمسلمات مئذ ألف وأربعمئة عام "وفد" يامش عن النساء ويطلب بحقوقهن

وعارة "وفد النساء" ليست من عدي بل هي تسمية موحودة في كتب السيرة نقلها عن العصر النبوي - وهي تسمية على رقتها تثير كثيراً من العجب والإعجاب.

ولقد حدث هذا عندما كانت أوروبا يعطيها الظلام وكان سكانها يتساءلون هل المرأة قط أم إنسان بل وكان ساقها من عهد غير بعيد يعتري بحسات، ولا يحمل هن أن يمسس الكتاب المقدس أو يقتربن منه ١١١

قل ذلك نفرون، ومئذ ألف وأربعمئة عام كانت المرأة المسلمة تنهياً ظلال ديس كريم وصنع عنها وررها، وحولها من ملعة تورث، وموءودة نواد إلى سيده كريمة محرمه صمص سيدات كريمت محترمات قال عنهن الرسول الأعظم "إنما النساء شقائق الرجال - هن مثل الذي عليهن بالمعروف".

وأبامئذ كان للنساء "وفد" يمثلهن لدى الرسول ويطالب هن جميعاً بالمريد من الحقوق

وإن فقها الإسلامي ليرحمها للمرأة من حق ومكانة فهو يعطيها كل الحقوق التي للرجل تقريباً في محال الدين والدينا والوظائف العامة التي لا يحرم عليها أيها ١١ ولقد آن للمجتمع المسلم في كل بلاد الإسلام أن يتخلص سائباً من "عقدة المرأة" كما أن للمرأة المسلمة أن تتخلص من عقدة المودة والمديونة

فأعديبة في الإسلام من أسهر وأرهى وأروع المديبات، وإذا كان الإسلام يصون المسلمة بعض التقاليد والواحات فليس دلث لكي بصيب شخصيتها بالإحاطة إنما لكي يحفظ لها حرمتها وكرامتها

إن قوم من المسلمين يتريدون في ديسهم - فلا يرصيههم مثلاً - حكم الإسلام في أن

من حق المرأة أن تكشف وجهها وكميها أو لا يرصيهن أن تستمتع بحقوقها في العمل -
 جميع عمل - الذي تصلح له كطبيبة ومعلمة ، ومهندسة وقاصية تل ووريرة
 إن الإحساس الأخلاقي بالمرأة هو الذي يعكس في مجتمعاتنا صيفنا بحقوقها وخوف
 من حررتها.

وعليها أن يدرك جيدا أن وضع المرأة لا يصحح بقانون يصدر، أو طفر يتحقق بل
 لابد من أن يكسر من عقلنا الناطق كل شك في مقدرة المرأة ولاسيما المرأة المسلمة التي
 ترسل الحديث عنها وإليها وعليها ألا يظلم الإسلام حين يجعله حراً على المرأة سيما هو في
 حقيقته كميل ها، وحصى ما، وبارز أكثر ما يكون الر وصديق أكرم ما يكون الصديق



تزودي بأناقة النفس

تحرص الفتيات والسيدات على إحراز أكبر قدر متاح من الأناقة - أنيقة المنس وأدقة المظهر - بل والرجال أيضاً يحرصون - بيد أن المرأة أشد حرصاً وأكثر رغبة في أن تبدو متأنقة متألفة تنهر الأنصار !! وليس في ذلك ما يشيها ما التزمت في ربتها بأدب دينها ونفاليدها قوماً.

بكر المرأة تعمل خلال اصطفاها للتأنق أناقة أخرى هي أبقى وأسمى من كل أناقة - تلك هي أناقة النفس والروح.

إن الله كما يقول الرسول عليه السلام حميل يحب الجمال .. وليس على الناس من بأس ذكرناً وإناث، إذا هم حاولوا أن يطهروا في أعين الآخرين بوراً وصياء

لقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ قائلاً:

«يا رسول الله إني أحب الثوب الجميل والعمل الجميل أقمس الكبر ذلك؟» فأجابه

الرسول - كلاً إن الله حميل يحب الجمال، وإنما الكبر بظن الحق، وعمط الناس «

فيتألق المسلم وينال ما أحفظه اثنان - إسرائف ، وعجلة " ولندكر أولاً ونسأ وأحير - أباقة النص .

إن أباقة النص فصبة تنقص الأكثرين ما رجلاً وساء . بيد أن هذا النقص يدو في المرأة أكثر ظهوراً ، لأنها في العاده أكثر إشراقاً وفي الثوب الأبيض الحميل تدو النقطة السوداء وكأنها نهر من ملاد أو من سوادا !!

إن أباقة النص تمثل الشيء الكثير بالنسة للنساء كافة وللمسلمة خاصة
 إن هذه الأباقة هي انتي تجعل منها ناء متألقاً نور السمو الروحي والخلق الكريم
 تجعل منها الصاة المتسامية ، والسيدة المترفة المتعالية عن كل جهالة وصعار
 وأباقة النص ليست لقطه نجدها على فارعة الطريق ، ولا ملعة تناع في الساحر
 والحوائث ، بل ولا رحيقاً تسجله من أثداء الأمهات .

بل هي ثمرة رياضة روحية ، ودأب عقلي وأخلاقي
 نعم هي ثمرة استجابة واعية تجعل من الرقة الوهانية ، إخلاصاً حياً وشاهد حلاقاً
 كما تجعل من الثثرة الفارعة معرفة ناضجة ، ومن الوجود المهمل حياة ممتدة نافعة
 والسيدة التي تصيف إلى أباقة مظهرها أباقة المحر ، وتبلغ من الرقي النفسي والخلاء
 لروحي ما تهبؤه ها أباقة النص هي التي يقال عنها إنها نهر المهد يميمها والعالم
 يسراها !! وتستطيع دون غيرها أن تلهم الحياة نوعها وتقواها

إن الوطن الإسلامي يرجو الأمهات المسلمات أن يهيه مواطنين صالحين ، يهيه رجلاً
 أبراراً يحملون جسارة الشجعان ، ويمشون في سرائرهم وعلايتهم على صراط العصبية
 والواجب .

والفساد و لتحلف اللذان تغشيان حياتنا اليوم، واللذان يهددان بامتدادهم إلى العدم يصنع عما وررهما سوى الإرادة المنعثة من أمس أيقنة بطيعة، مترفعة، تألف الإسفاف، وتسمو فوق الصغار.

ولن تستطيع الأم المسلمة أن تعاون ولدها على إسهاص شخصيته، وترقية نفسه إلا إذا عرست فيه من طموخته العصاة الناكرة أمانة النفس وتسامي الصميم

وإن السيدة المسلمة التي أوجه إليها الحديث أكثر من سواها لقادرة على أن تحمل مص أيقنة تمثل قدرتها على ارتداء الثوب الأنيق ولن تتطلب الأمر منها مشقة ولا عسرا

وحسبها لكي تظهر بأمانة النفس أن تؤمن بحتمية الظفر بها، إدراكاً منها بأن أمانه الروح هذه أدعى للإعراء المهيب والإحلال الودود من أمانة الثوب وبدر المسحوق

إن الحياة قد صاقت درعاً معارصات الأرياء، ومصت تتلمس في المرأة الحديدية والفتة الحديدية روعة الروح، وحلال الهدف، وأمانة النفس، واستقامة الطريق

أعرف بساء كثيرات يحيط بالواحدة مهن هاله كادته من صوء باهت مصوع

قد يسر مطرها الأعين نادئ الأمر، لكنها لا تكاد تتكلم وتحرك شععتها المصوغتين حتى تفصح نفسها، فإذا رأسها الذي كان يبدو فاتناً، حجمه حرعة عنية، وإذا وراء صدرها الذي كان يبدو حايها وودودا، قلب معمم بالسوء، ممتلئ بالمرور

وهكذا تظمى أهاله، ويرتد صوؤها الشاحب ظلاماً في ظلام.

دلت لأن روحها تهمل حتى تصير حانية لا تبرق سسى ولا تنالق بصياء

إن الأمانة الطاهرة المجلوبة لا تلت أن تدبل وندوب، لأنها ليست لها بسايع ثرة وباطنة تمدها برقراق الحياة والخيال

وكل حمل لا يكون قادما من النفس ولا عمده عظمة باطنة، ولا يدفعه نبار القصائل

بكامة، فهو جمال هابط ساقط نلأشى كاهناء أمام البطرة الشاقة والرؤية المخصصة

والوطن الذي ينزهل بهذا الطرار من النساء ينلى بشر ما يمرقه فالمرأة نصف المجتمع - وعليها أن تفكر كما يفكر الرجال، وتعمل مثلما يعملون، وتصرب في كل مأكبات الحياة بحرم بصير وسعد قدير ولن سأتى ها ذلك وهي مشغولة برحرفها تاركة عقلها يموت من الجوع وروحها تلهث من الظلم.

لإسلام اليوم بحاحه إلى الفتاة التي تعسى بعملها أكثر مما تعسى بريبتها وحسمها وترى في حبيب أوراق كتاب تحمله وبطالعه حرمها أعدت وأعم من وسوسة الحلى والذهب، وتشم من تراب الأرض التي تفلحها، ومن دحان المصانع التي تدير آلاتها عبراً دونه كل العطور التي تملأ معاطسها

لقد روى التاريخ عن السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي عليه وآله وصحبه أفضل اتصال وأركى تسليم أنها كانت تملأ اللحظة العابرة من حياتها بالعمل والدأب. فكانت في وقت واحد، تدير الرحى بدها، وتداعب مهد الحسين برحليها، وتتلوا القرآن بلسانها، وتفسره بقلبيها، وتكفي بعيها ولو أسمعها رمانها بأكثر من ذلك بوسائل اندأب والعمل والخذ لأقلت عليه في شجاعة وغطاة

وللساء جميعاً قدوة حسنة في مدام كوري التي افتعدت من التاريخ أعلى مسائره حين أمنت بنفسها إيمان الأبرار.

وما كانت ستؤمن به لو كانت معها مريضة، مظلمة، منهالكة على الرحرف الباطل والعبث الضائع.

لقد عكفت على تثقيب عقلها الدكي، وباء بنفسها الوثانة حتى صارت من أكثر العلماء وأعظم الرواد بها

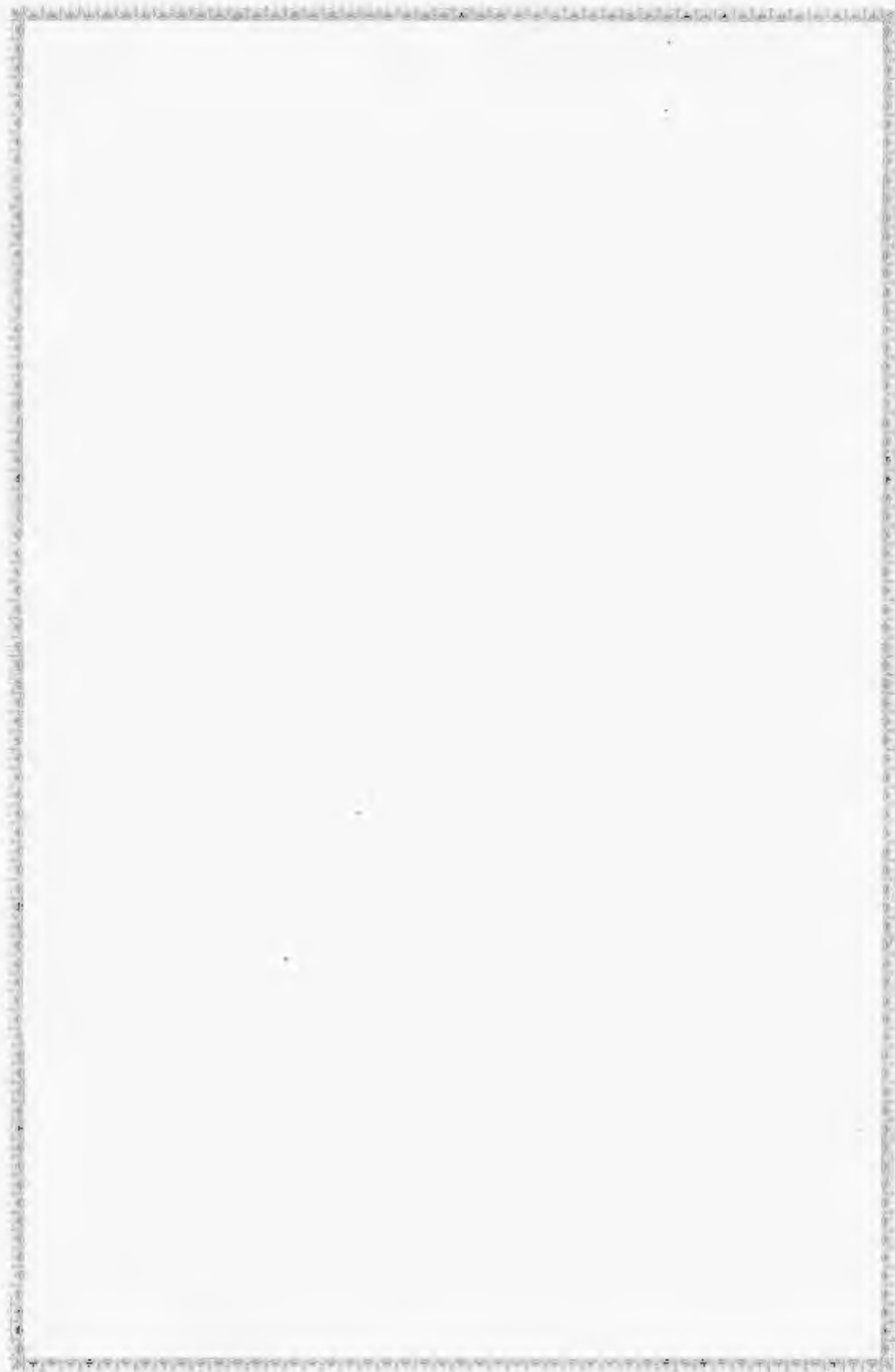
واكتشفت للإنسانية المعدة "الرادبوم" وكانت رحمة للمعدين.

ألا وإن بين فتيات المسلمين من لا تقص دكاء ومقدرة، وعلى المجتمع المسلم أن يبين
لهن كل فرص التأني والسوء فهذا هو ما يريد الإسلام من ناته وسائه يريد منهن
رائدات شيططات في كل ميادين المعرفة والخير والمصلحة.

يريد منهن أن يصغر التواضع مكان التصنع والساطة مكان التكلف والإيمان
مكان العرور والحماس مكان الترهل والعمل موضع اللهو . والحب بديل العيرة
يريد منهن أن يقص أمام أنفسهن ومستقبلهن أكثر مما يقص أمام امرأة، وأن يشدن
لرفعة - رفعة النفس ورفعة الخلق في كل ما يأتين ويدعن، وأن يجعلن لحياتهن عرصاً
سامياً وهدفاً نبلاً إذا فعلت ذلك يا فتاتي ويا سيدتي، كت الأم التي تخلق أمة
وإذا لم تفعل، فأنت مهمل اصططعت من رخر ورنة حطام .

حطام يظفو فوق العباب . !!!





الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الناشر
٥	نبذة عن حياة المؤلف
١٧	الشوق إلى الله
٢٠	الأمرة في الإسلام
٢٥	يا أتباع محمد من أي البلاد اتحدوا
٣٢	حتي نشكر الله
٣٤	كلمات لا تموت
٣٦	العدل الصارم
٣٩	الوحي ، أم العقل ؟
٤٤	أيها السادة لا تألوا على الله
٤٧	أفأنت تكره الناس ؟
٥٠	اللهم اسقنا الغيث
٥٣	الرأى والهوى
٥٦	حتي متى ، نعيش بقره حلوبا ؟
٥٩	لا تخافوا فإله هناك !!
٦٢	المبشرون بالجنة
٦٦	كلاب بلع
٦٩	العمل في الإسلام
٧٤	مرة أخرى مع العمل في الإسلام

الصفحة

الموضوع

٧٨	متي يكون التجار فجارًا ومتي يكونون أبرارًا؟
٨٢	حوار..!!
٨٦	ظنوا بربكم خيرًا يؤتكم خيرًا..!!
٨٩	ألهذا جمعنا؟
٩٢	لكي نكون نورًا وعبرًا..
٩٦	هذاء هو الطريق
٩٩	واذكروه كما هداكم
١٠٣	حتى نبعث رسولاً..
١٠٦	انظرونا ، نقتبس من نوركم!!!
١٠٩	عندما يفرح الله!!
١١٢	الله أعلى وأجل
١١٥	ورضوان من الله أكبر
١١٨	وكونوا عباد الله إخوانا
١٢٢	واذكروه كثيرًا لعلكم تفلحون!
١٢٦	قالوا سمعنا.. وهم لا يسمعون!!
١٢٩	أيهم أقرب..!!
١٣٢	كم هم جاهلون أولئك الحاسدون..!!
١٣٦	أحسنوا الظن بالله
١٤٠	واجعلنا للمتقين إمامًا
١٤٣	لن هذا العطاء وهذا الهناء!!
١٤٦	وإننا ورثوا العلم!!

الصفحة	الموضوع
١٥٠	هذا ما وعدنا الله ورسوله...
١٥٣	ولا تعد عينك عنهم!!
١٥٦	شهر الإيثار
١٥٩	ضعف الطالب والمطلوب!!
١٦٢	لماذا الإلحاد والإيمان حق!!؟
١٧١	وقف مع الفكر الديني
١٧٩	الجنة تحت قدميها!!
١٨٤	وقد النساء!!
١٨٩	تزودي بأناقة النفس
١٩٥	الفهرس
١٩٩	كتب المؤلف

تم بحمد الله وحسن توفيقه